١٣.٢

حوار كوني

٣ أعداد في السنة بلغات مختلفة

حديثٌ في علم الاجتماع مع سيدني تاررو

أنجيلا ألنزو
وبرينو برينغل

الليبرالية والآخر والدين

سيسيل لابورد
عزمي بشارة
فريديريك فانديربورغ
أنّا هالافوف

إعادة إحياء النظريّة الإجتماعيّة

مايكل كارلهايدن
آرثر بوينو
ريتشارد سويدبورغ
مايكال كارلهايدن
آنا إنغستام
نورا هملاينن
تورو كيمو ليتونين
آرثر بوينو
سوجاتا بوتال

آفاق نظرية

لونا ريبيرو كامبوس
فيرونيكا توست

قسم مفتوح

› النفاذ المفتوح والدوريات المفترسة والدوريات القائمة على الإشتراكات.
› من أجل سلوكيات تسعى إلى صحّة أفضل في بهار ، الهند.
› أزمة الصحّة النفسية في إسبانيا. أهمّية علم الاجتماع.
› توسيع نطاق خطاب حقوق الإنسان بالاقرار بالعنف المبطّن.
› الغزو الروسي لأوكرانيا من منظور خلدوني

International Sociological Association

النشرة الأخبارية

العدد ٢ من السلسلة ١٣ – أغسطس ٢٠٢٣
https://globaldialogue.isa-sociology.org/

GD

تصميم ربيع محمصاني

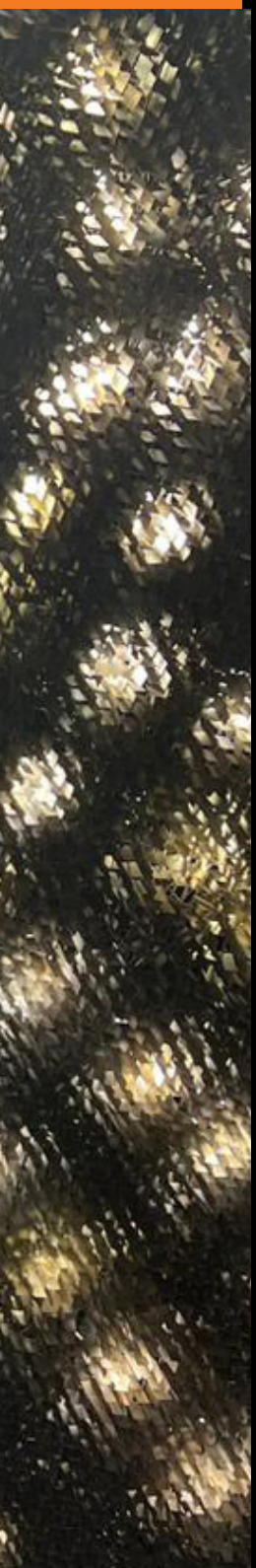

> الافتتاحية

آمل أن تجدوا في هذه العدد من حوار كوني والثاني تحت إدارتي التحريرية برفقة كارولينا فيستينا وفيتوريا غونزاليز الاستمتاع وتحظون بالاستفادة. لقد بادرتُ خلال الأشهر القليلة الأولى بصفتي رئيسا للتحرير بإجراء مناقشات مستفيضة حول مستقبل النّشريّة قصد التفكير معًا في إدخال التغييرات اللازمة من أجل تعزيزها وتوسيع نطاقها. أشير إلى أنه سيتم إدخال تطورات جديدة بدءا من الإصدار الأول لعام ٢٠٢٤ وأنا أشجعكم مرحّبا بمشاركتكم بتقديم بالأفكار والمقترحات و تقاسمها.

يستهلّ هذا العدد بمقابلة مع الباحث البارز سيدني تاررو، أجريتها أنا بنفسي رفقة أنجيلا ألونسو . تناولنا خلالها بالبحث العديد من أوجه العلاقة بين الحركات الإجتماعيّة والأحزاب السياسية والتحديات التي تواجهها. من بينها كيفية التفكير في هذه الحركات والأحزاب بشكل علائقي وفعّال، وما هي الإمكانات الاستدلالية لمفهوم الأحزاب الحركية/ التي تنتج في ظلّ الحركات الإجتماعية، وكيفيّة ارتباط الأحداث السياسية الأخيرة بأجندات البحوث الأكاديمية الحديثة، أو ما هي بعض التحديات الرئيسية لمواصلة مسار تعزيز أجندات كونية متعلّقة بالموضوع.

يحتضن هذا العدد عدّة ندوات تستهلّه الندوة الرئيسيّة الأولى المُعْنْوَنةُ «الليبرالية والآخر والدين» مؤلّفة بين نصوص مختلفة كانت قد أعدّت للمؤتمر الدّولي العشرين للجمعية الدّولية لعلم الاجتماع الذي سيعقد في مدينة ملبورن. حيث استهلّ سيسيل لابورد Cécile Laborde الجدال بمناقشة إبداعية حول العلاقة بين الدّولة والدين، وبشكل أكثر تحديدًا، بين العلمانية والشرعية الليبرالية. بينما يتولّى المفكّر العربي عزمي بشارة Azmi Bishara تحليل تنوّعات الليبرالية في المناقشات الأكاديميّة واستخداماتها السياسية. و بتوخّيه لمقاربة داخلي أكثر تجاه الجدال السوسيولوجي الاجتماعي ، يشير فريديريك فاندنبرغ Frédéric Vandenberghe إلى إعادة التفكير في علم الاجتماع باعتباره استمرارية للفلسفة الأخلاقية ، ممّا يفترض دراسة الافتراضات السياسية والأخلاقية المسبقة لهذا الاختصاص منها مخزونها من «المجتمعات ذاتية الحكم الصغيرة الليبرالية». تختتم الندوة الأولى بالجدال الذي تطرحه آنا هالافوف Anna Halafoff في تناولها لبعض اتجاهات القيم المحافظة والقومية الدينية في سياق المواجهة بين الكوزموبوليتية ومعاداتها.

تحمل الندوة الثانية التي نظمها آرثر بوينو Arthur Bueno وميكائيل كارليدين Mikael Carleheden عنوان «إعادة إحياء النظرية الاجتماعية». وهي تتضمّن بالإضافة إلى مقدمة موجزة عن الموضوع ، ستة مقالات تتناول كيف يمكننا إحياء طريقتنا في صياغة التنظير للظواهر الاجتماعية. وبينما يدعو ريتشارد سويدبرج Richard Swedberg وآنا إنجستام Anna Engstam إلى الغوص في الإبداع، ينتصر ميكائيل كارليدين Mikael Carleheden عن التعددية النظرية. وتتجلّى العلاقة بين النظرية والتجريبية / الممارسة متضمّنة أشكالا مختلفة في الورقات التي تقدّمها كلّ من نورا هامالينين Nora Hämäläinen وتورو كيمو لاتونين Turo-Kimmo Lehtonen. تتناول هامالاينين في الحالة الأولى بالنقاش أزمة النظرية بوصفها «نظريّة عظمى» كما تمّ طرح مقترحات لتنظير الممارسة الحية الواقع العملي، أو العمل الميداني في الفلسفة. أمّا في الورقة الثانية فقد تناول لاهتون بالنقاش فيها مسألة مفارقة المفاهيم بشأن الممارسة في النظرية الاجتماعية المعاصرة. وختمت سوجاتا باتيل Sujata Patel هذه المجموعة من االورقات بتأليفها لمقال تجادل فيه نمو التفكير المعادي للاستعمار في النظرية الاجتماعية وإسهاماته في علم الاجتماع الكوني.

أما القسم الخاص «برؤى نظريّة» فيتضمّن حيّزا مفتوحا وفّرناه لموضوع يثير قلقا عالميا متناميا بطرح السؤالين التاليين: فيما تتمثّل الاسهامات الرئيسية للمرأة في النظرية الاجتماعية الكلاسيكية؟ وماهي العقبات الأساسيّة التي تعوق التفكير خارج نطاق المقياس/ المبادئ/القانون؟ و في الإجابة عن هاذين السؤالين تنخرط كلّ من لونا ريبييرو Ribeiro Campos وفيرونيكا توستي دافلون Verônica Toste Daflon في اسهامهما لا فقط بابراز دور المرأة غي النظريّة الإجتماعيّة بل أيضا إقامة حوار كوني حول الموضوعات الجوهريّة في محتويات اسهامهما.

ختاما يتضمّن «القسم المفتوح» خمس مقالات تتمحور موادها حول مختلف القضايا المعاصرة ذات الصلة. ألا وهي النفاذ المفتوح و الدوريات الوهميّة والدوريات القائمة على الإشتراكات من تأليف سوجاتا بوتال. يساهم كلّ من أدياتا راج Aditya Raj وبابيا راج Raj Papia في تأثيث هذا القسم بورقة تتناول أهميّة التثقيف الصحّي القائم على السياقات في مواجهة الأزمات و الخروج من جائحة كوفيد ١٩ نفسها. ويساهم مقال سيدجيتا دوبلايت Sigita Doblyte حول دور علم الإجتماع في مواجهة أزمة الصحّة النفسيّة هذا القسم الذي يتضمّن كذلك مقالا بعنوان فشل خطاب حقوق الانسان في التصدّي للجوانب المعقدة للعنف الجندري وأهمّية الإقرار بالعنف اليومي المتستّر تقدّم برايرداشيني بهاتارشينيا Priyadarshini Bhattacharya ليختتم القسم بمقال لأحمد أبو زيد عنونها قراءات نقدية بديلة للاجتياح الروسي لأوكرانيا تتجاوز الواقعية والليبرالية. ■

برينو برينغل، رئيس تحرير حوار كوني

> يمكن الاطلاع على حوار كوني بلغات متعددة على موقع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ج د ع اج GD website.

> ترسل المقالات المقترحة للنشر على العنوان globaldialogue.isa@gmail.com.

> فريق التحرير

رئيسا التحرير: برينو برينو برينغل

محرران مساعدان: كارولينا فيستينا وفيتوريا غونزاليز

محرر مشارك: أربانا سوندار

محرران متصرفان: لولا بوسوتيل، أوغست باغا

مستشار: مايكل بورروای

مستشار إعلامي: خوان لياراغا

محررون مستشارون: ساري حنفي، جيوفري بلايرز، فيلومين غوتييرس، إلويزا مارتن، ساواكو شيراهاسي، إيزابيلا بارلنسكا، توفا بنسكي، شيه جو جاي شن، يان فريتز، كويشي هوزيغاوا، هيروشي إيشيدا، غريس كونو، آلسون لوكونتو، سوزان ماك دانييل، إلينا أويناس، لورا أوسو كاساس، باندنا بوكاياستا، رودا ريدوك، منير السعيداني، عائشة ساكتانير، سيلي سكالون، نازانين شاه روكني.

محررون إقليميون:
العالم العربي: ساري حنفي (لبنان)، منير السعيداني، فطيمة الرضواني، (تونس)،

الأرجنتين: ماجدالينا ليموس، خوان بارسيو، دانتي ماركيسيو.

بنغلاديش: حبيب خندكر، خير شودري، ، بيجوي كريشنا بانيك، سابينا شارمن، سيباك كومار ساها، محمد شهيد الإسلام، عبد الرشيد، سركر سوهيل رانا، جويل رانا، هلال الدين، ياسمين سلطانة، صلاح المأمون، إكرام الكبير رانا، فارحين أكثر بويان، خديجو خاتون، عايشة صدّيق حميراء، عارفون رحمان، إستياق نور محيط، مخحّد شاهيم إكثار، سوريًا أكثار، عالم الغير كبير، تسليمة نصرين.

البرازيل: فابريسيو ماسيل، أندريزا جالي، ريكاردو فيسر، خوسيه غيرادو نيتو، جيسيكا مازيني مينديز.

فرنسا/إسبانيا: لولا بوسوتيل.

الهند: راشمي جاين، راكيش رانا، مانيش ياداف.

إيران: ريحانة جوادي، نيايش دولاتي، سيد محمد المطلبي، إلهام ششتاريزاد.

كازاخستان: أيجل زايروفا، بيان ساماغامبت، عادل روديونوف، ألمش تليسباييفا، كوتنيش تل، المغول موسينا، أكنور إيمانكول، ماديار ألديريانوف.

بولندا: ألكساندرا بيرناكا، آنا تورنر، جوانا بيدناراك ، مارتا بلاجيسننسكا، أوسولا ياريكا.

رومانيا: رالوكا بوبسكو، رايسا غابرييلا زامفيريسكو، بيانكا ميخايلانا، ديانا موغا، لويز نوستور،ماريا فلاسيانو.

روسيا: إيلينا جدرافوميسلوفا، داريا خولودوفا.

تايوان: جو لي، تاو - يونغ لو، يو - ون لياو، يي - شو هوانغ، شين - ينغ شين، زي هاو كيرك، مارك يي - وي لاي، يون - جو لين، يون هسون تشو.

تركيا: غول سورباسيوغلو، إيرماك إيفرين.

العالم الشهير/المعروف "سيدني تارو" يتكلم في هذه المقابلة مع "أنجيلا ألونسو" و "برينو برينجل" عن العلاقة بين الحركات الاجتماعية ، الأحزاب السياسية، و كيفية فهم العلاقة بين الاثنين.

هذا القسم عن "الليبرالية، الآخر و الدين" تقدم مساهمات أربع علماء بارزين، تمت دعوتهم الى الجلسات الرئاسية للكونغرس/مؤتمر علم الاجتماع العشرين للجمعية الدولية لعلم الاجتماع

هذا القسم يحلل مأسسة و تذكير علم الاجتماع، مسلطاً الضوء على صعوبات و أهمية رسم خارطة/تحديد التهميش المنهج لمساهمات النساء في علم الاجتماع الكلاسيكي/التقليدي

GD

تصدر حوار كوني بفضل الدعم السخي لمنشورات سايج (SAGE Publications)

> في هذا العدد:

الافتتاحية ٢

> حديثٌ في علم الاجتماع

إعادة التفكير في الترابط بين الحركات والأحزاب
مقابلة مع سيدني تاررو
بقلم أنجيلا ألونسو، البرازيل وبرينو برينجل ٥

> الليبرالية والآخر

دفاعا عن حدّ أدنى من العلمانية:
بقلم سيسيل لابورد، المملكة المتحدة ٩
في الليبرالية الشموليّة والليبرالية السياسية والإيديولوجية
بقلم عزمي بشارة، قطر ١١
علم الاجتماع باعتباره استمرارًا للفلسفة الأخلاقية بطرق أخرى
بقلم فريديريك فانديربورغ، البرازيل ١٤
القومية الدينية ومكافحة الإرهاب العالمي
بقلم آنّا هالافوف، أستراليا ١٦

> إعادة إحياء النظرية الاجتماعية

وضع النظرية الاجتماعية الراهن
بقلم مايكل كارلهايدن، الدانمارك وآرثر بوينو، ألمانيا ١٨
دعوة إلى الإبداع عند وضع النظريات
بقلم ريتشارد سويدبرغ، الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠
طرق التنظير: دعوة إلى التعددية
بقلم مايكال كارلهايدن، الدنمارك ٢٢

فلنقم بعلم اجتماع مستقل!
بقلم آنا إنغستام، السويد ٢٤
بعد النظرية الكبرى: العمل الميداني في مجال الفلسفة؟
بقلم نورا همالاينن وتورو كيمو ليتونين، فنلندا ٢٦
النظرية و (نهاية) الممارسة
بقلم آرثر بوينو ، ألمانيا ٢٨
ممارسة نظرية إجتماعية مناهضة للاستعمار
بقلم سوجاتا بوتال، الهند ٣٠

> آفاق نظرية

المرأة في صنع النظرية الاجتماعية خارج حدود القياس
بقلم لونا ريبيرو كامبوس وفيرونيكا توست دافلون، البرازيل ٣٢

> قسم مفتوح

النفاذ المفتوح و الدوريات المفترسة أوالدوريات القائمة على الإشتراكات
بقلم سوجاتا بوتال، الهند ٣٤
من أجل سلوكيات تسعى إلى صحّة أفضل في بهار، الهند
بقلم أديتيا راج وبابيا راج، الهند ٣٦
أزمة الصحة النفسيّة في إسبانيا: أهمّية علم الاجتماع
بقلم سيجيتا دوبليتو، إسبانيا ٣٨
توسيع خطاب حقوق الإنسان بالإقرار بالعنف المبطّن
بقلم بريادارشيني بهاتاشاريا، الهند ٤٠
الغزو الروسي لأوكرانيا من منظور خلدوني
بقلم أحمد محمد أبوزيد، المملكة المتحدة ٤٣

”من المرجح أن تنتج الدورات السياسية ذات المستويات العالية من المشاركة العامة في الآن ذاته حركات مناهضة للديمقراطية وحركات مؤيدة للديمقراطية.“

سيدني تاررو

> إعادة التفكير في الترابط

بين الحركات والأحزاب

مقابلة مع سيدني تارو

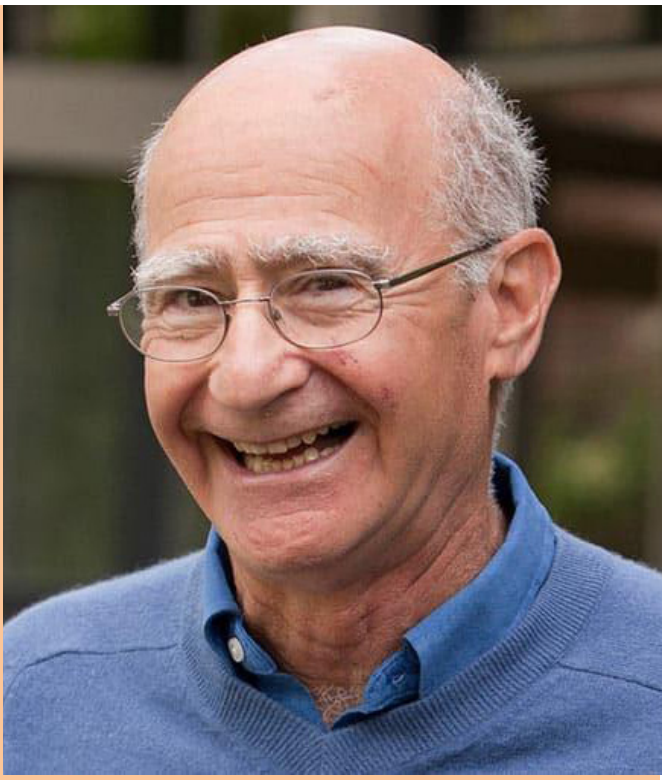

سيدني تارو Sidney Tarrow أستاذ فخري لماكسويل إم أبسون Maxwell M. Upson في دائرة الحوكمة بجامعة كورنيل، مختصّ في الحركات الاجتماعية والسياسات المثيرة للجدل والتعبئة القانونية. بلغ عمله في علم الاجتماع السياسي والسياسة المقارنة شهرة عالمية. حيث بدأ مساره المكثّف والمتميز في ستينيات القرن الماضي. و ما انفكّ منذ ذلك الحين عن الاسهام في النقاش الدائر حول الحركات الاجتماعية. تمّت إعادة نشر أفضل كتبه وأشهرهم *Power in Movement*، في طبعة جديدة ومستكملة العام الماضي، متضمّنا فصولا جديدة وخاتمة جديدة تتعلق بالأحداث المعاصرة وأحدث الدّراسات. نشر تارو مؤخرًا كتاب الحركات والأحزاب: الروابط الحاسمة في تطور السياسية الأمريكية (مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٢١) في سعي إلى الإجابة على أسئلة تتناول كيفية تقاطع الحركات الاجتماعية مع أجندات الأحزاب السياسية؟ و هل عند تكاملها مع الأحزاب، يتم احتواؤها أم تنحو أكثر نحو التحويلية بشكل جذري؟ فبينما ينصبّ الكتاب على السياسة الأمريكية، فهو يسهم في المناقشات التي تحظى باهتمام أوسع نطاقا. و يمكن اعتباره قاعدة لهذه المقابلة.

أجرى المقابلة مع سيدني تارو أنجيلا ألونزو و برينو برينغل، وكلاهما من رواد علماء الحركة الاجتماعية البارزين في البرازيل يحظيان بمسار وخبرة دولية واسعة. أنجيلا ألونسو أستاذة علم الاجتماع في جامعة ساو باولو. تتمحور بحوثها و منشوراتها حول العلاقات بين الثقافة والفعل السياسي وكذلك الحركات الاجتماعية و الفكريّة. صدر لها مؤلّف *الإلغاء الأخير: الحركة البرازيليّة لمناهضة العبودية ١٨٦٨-١٨٨٨*.

The Last Abolition: The Brazilian Antislavery Movement, 1868-1888

(مطبعة جامعة كامبريدج،٢٠٢١). برينو برينغل أستاذ علم الاجتماع السياسي في معهد الدراسات الاجتماعية و السياسية بالجامعة الحكومية بريو دي جينيرو و كبير الباحثين في جامعة كومبلوتنسي مدريد، إسبانيا. تتمحور امتماماته البحثيّة الأخيرة حول الحركات الاجتماعيّة والتحوّلات الايكولوجية الاجتماعيّة. سيصدر له قريبا كتاب ما وراء الاستعمار الأخضر: العدالة الكونيّة وجيوبوليتيكا التحوّلات الايكولوجية الاجتماعية في اسهام مع ميريام لانغ وماري آن ماناهان(مطبعة بلوتو، يصدر قريبا).

أنجيلا ألونزو برينو برينغل (أ و ب ب) هل من تلخيص لمزايا تحليل الحركات والأحزاب و مساؤئه من الناحية العلائقيّة؟.

سيدني تارو(س ت): للردّ على على هذا السؤال بشكل ملائم، أحتاج إلى العودة إلى بحثي الدكتورالي في جنوب إيطاليا منذ فترة طويلة في ستينيات القرن الماضي. ففي نظر التقدميين الشباب مثلي، كنت أعتقد أنّ الحركات كانت خارج النظام السياسي وكانت جيدة ، بينما كانت الأحزاب في الداخل وكانت سيئة. لكن حين عالجت علاقات الحزب الشيوعي مع حركة الفلاحين - والتي انفجرت في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، بدا لي الأمر مجانبا للصواب: كانت هناك سمات ضمن االحزب مماثلة للحركة في الجنوب والتي اندثرت ولم يعد لها وجود في الشمال حيث رافقت حركة عمالية ذات بنية تنظيميّة جيدة الحزبَ. تمثّلت معضلة الحزب في ريف الجنوب أنه حاول تنفيذ استراتيجية كانت قد رُسمت لبلد صناعي متقدّم. ومثّل كتابي الأول ، *شيوعية الفلاحين في جنوب إيطاليا Peasant Communism in Southern Italy*، الذي صدر سنة ١٩٦٧، محاولة لفهم التناقض بين الحزب في الشمال والجنوب ، سعيت فيه إلى شرح إخفاقاته في الجنوب.

بعد عقدين من الزمن ومستلهمًا من أعمال تشارلز تيلي Charles Tilly ودوغ ماك آدم Doug McAdam، عدت إلى إيطاليا في محاولة لفهم دائرة الخلاف خلال الستينيات والسبعينيات دوّنتُها في كتاب بعنوان *الديمقراطية والفوضى Democracy and Disorder* (١٩٨٩)، والذي اتبعت فيه المنهجية الجديدة آنذاك في تحليل

>>

ظواهر أحداث الاحتجاج. و على خلاف علماء الاجتماع مثال ألبيروني ، الذين ما زالوا يعتبرون الحركات خارج دائرة السياسة ، وجدت روابط عميقة غير منفصلة بين ما كان يحدث في الشوارع وما كان يحدث في نظام الحزب. دفعتني هاتان التجربتان إلى المشاركة في تأسيس ما أصبح يسمّى بمنهج «العملية السياسية» / «ظرية الفرصة السياسية» إزاء الحركات الاجتماعية.

وفي الآونة الأخيرة، عشرين سنة خلت أخرى ، خوفًا من المرحلة الحاسمة لانتخاب دونالد ترامب لمنصب الرئاسة انصرفت عن أوروبا لإجراء بحوث حول المقاومة المناهضة لترامب في كتاب عنوَنتُه *المقاومة The Resistance* (٢٠١٨) شاركت في تحريره مع ديفيد س. ماير David S. Meyer، ثم أصدرت الكتاب موضوع المناقشة في هذه المقابلة *Movements and Parties*. أشير إلى أنني جادلت في هذا الكتاب أنّ العلاقة بين الحركات والأحزاب كانت محوريّة في الانتقال الديمقراطيي الأمريكي – مُسهمة في توسيع نطاقه أحيانا ، وفي تهديده أحيانا أخرى كما هي الحال عليه راهنا. لتأليف هذه التجارب أدركت أن دراسة الحركات والأحزاب فيما يتعلق ببعضها البعض منحتني ميزة التطلّع خارج نطاق العالم المؤسسي للأحزاب السياسية كما ساعدتني على فهم سبب تصرف الأحزاب في كثير من الأحيان بطرق كانت مؤسفة قاعدتهم الانتخابية: فمحاولتهم لمناشدة قاعدة حركة أكثر أيديولوجية كانت تدفعهم إلى مثل ذلك السلوك. تنطوي «الصعوبة» في سؤالك في أنني كنت أحاول التحدث إلى تقليدين كانت تستخدم منهجيات مختلفة و تتصوّر النظام السياسي بطرق مختلفة. لقد أثار ذلك «متاعب» في الولايات المتحدة أكثر منها في أمريكا اللاتينية، مما قد يساعد في تفسير سبب رد الفعل الإيجابي لعملي في قارتكم.

أ و ب ب: راجت في الآونة الأخيرة أحدى السبل إلى ادراك العلاقة بين الأحزاب و الحركات من خلال مفهوم الأحزاب المتحرّكة. ما هو موقفك من هذا المفهوم؟

(س.ت): في أوروبا ، تم تعريف المفهوم بشكل ضيق من قبل كيتشيلت Kitschelt في فصله سنة ٢٠٠٦، مع التفكير بشكل أساسي في الأحزاب الخضراء في أوروبا الغربية اعتبارهم جزءًا من منظومتَي فعل مختلفتَين (منظومة الحزب ومنظومة الحركة الاجتماعية). ثم تمّ تحديده سنة ٢٠١٧ على نطاق أوسع من قبل ديلا بورتا ومعاونيها في مؤلّفهم عن *أحزاب الحركة ضد التقشّف*. أمّا الكتاب الأقرب إلى أقرب إلى مفهومي الخاص هو كتاب سانتياغو أنريا الأخير عن MAS البوليفي Movimiento al Socialismo - MAS. وعنوانه :

When Movements Become Parties: The Bolivian MAS in Comparative Perspective.

فالمفهوم - ولئن لا يحمل الصياغة الدقيقة - مألوف في أمريكا اللاتينية أكثر منه في الولايات المتحدة ، و لكن وكما يجادل كتابي ، ظهرت أحزاب الحركة عبر التاريخ الأمريكي - بدءًا من الائتلاف بين مؤيدي إلغاء الرق والحزب الجمهوري في خمسينيات القرن التاسع عشر، وهذا تعرفه أنجيلا جيدًا من كتابها عن مناهضة العبودية.
وسعيا منّي إلى تحديد المصطلح تحليليًا، من المهم البدأ بتحليل كل جزء على حدة. إذ تعدّ الأحزاب، كما أشرت في كتابي متعقّلة في المقام الأوّل من حيث سعيها إلى الفوز بالسلطة أو الاحتفاظ بها. أمّا الحركات فهي أكثر أيديولوجية. ما يعني احتضان حزب الحركة لتفكير أيديولوجي ومتعقّل. غالبًا ما يتم حل هذا الصراع من خلال لجوء أطراف الحركة إلى المأسسة من أجل البقاء. وحين عدم التوصّل، يؤدّي ذلك إلى انقسامهم - كما الحال في الحزب الشعبوي الأمريكي في تسعينيات القرن التاسع عشر ١٨٩٠حين أيّد أحد فصائله المرشح الديمقراطي، ويليام جينينغز بريان ، وأصر الشقّ الآخر على التمسّك بإستراتيجيته ذات الصّلة بالحركة الزراعية.

نادرة هي الاستثناءات الشبيهة بحركة بوليفيا نحو الاشتراكية Movimiento al Socialismo - MAS إذ تقوم على على أشكال التنظيم القادرة على استيعاب حركتهم وأفكارهم الحزبية معا . تجدر الإشارة إلى احتفاظ الحزب الديمقراطي بهذه السّمة المزدوجة في ثلاثينيات القرن الماضي حيث سيطر الفصيل القائم على اليد العاملة في الشمال وظلّ جناح الفصل العنصري محافظا على سيطرته في الجنوب.

أ و ب ب : يؤكد كتابك أيضًا على أهمية التفاعل الديناميكي بين الحركات والحركات المضادة. يأخذ هذا النهج نغمة دراماتيكية في الكتاب حين يتعلق الأمر بظاهرة ترامب والحركات الداعمة له و المعارضة. كيف أثرت الصراعات السياسية المعاصرة في الولايات المتحدة على خطّتك البحثيّة حيث المرحلة التي قررت فيها تخصيص جزء هامّ من الكتاب لهذا المبحث؟ بعبارة أخرى ، كيف تنظر إلى العلاقة بين الأحداث السياسية الراهنة بين خطة العمل البحثي الأكاديمي؟

(س.ت): يركّز جزء هامّ من العمل حول الحركات المضادّة على الحركات اليمينيّة إلّا أنني أرى أنّ مثل هذا التصور مختزلا. ففي الولايات المتحدة ، لقد كانت هذه الممارسة الشائعة في البحوث المتعلقة بحزب الشاي وضمن حركة MAGA اليوم (لنَجعل أمريكا عظيمة مرّة أخرى). حيث وسمت كلا الحزب والحركة غالبا كونهما حركات تمثل الأشخاص الذين يشهدون تحدّيات التغيّرات الاجتماعيّة والعنصرية. وغالبًا ما يُضاف البعد التوصيفي الثاني بين مستويات التسييس المتقدّمة منها والمنخفضة. يؤكد الإيطاليون مثال ألفيو ماستروباولو Alfio Mastropaolo على الطبيعة المناهضة للسياسة للعديد من الناخبين اليمينيين المتطرفين، وغالبًا ما يدّعي المناصرون لدونالد ترامب أن ما يعجبهم فيه كونه «ليس سياسيًا».

أستخدم في كتابي مصطلح حركة مناهضة على النحو ذاته الذي أسهم به كلّ من دايفد س. ماير David S. Meyer وسوزان ستاغونبورغ Suzanne Staggenborg في مقالهما الصادر سنة ١٩٩٦ لتوصيف كيف يؤدّي صعود حركة ما ونجاحها الظاهري - سواء يسارية كانت أو يمينية - إلى صعود متبادل لحركة معارضة لها لتذْوي وتنطفئ جذوتها ويثير نشوءها. ويبدو التقارب بينهما في تلك النقطة قويا للغاية. ففي عملنا البحثي التعاوني المقاومة على سبيل المثال وَصَفْتُ أنا و دايفد ماير صعود المقاومة المناهضة لترامب اعتبارها حركة مضادّة.

يتمثّل ما يبدو أمرا حاسما بشأن الحركات المضادة في كلا من الطرفين اليساري واليميني في استحواذهم وإلى حد كبير من قبل خطاب ونطاق أنشطة الحركة التي ساهموا في نشأتها لتضطلع بالمناهضة . فعلى سبيل المثال كان للخطاب المعادي للعلم والذي تتبنّاه الحركة المناهضة للقاحات في الولايات المتحدة عميق الأثر في الحركة المؤيدة للّقاح والتي استندت إلى شهادات الأطباء والعلماء وخبراء الصحّة العامة لمواجهة أيديولوجيةخصومها المناهضة للعلم.

لكن العديد من هذه الحركات كانت قد نمت في ظل حركات أيديولوجية موجودة مسبقًا وأوسع نطاقًا. فحين يتتبّع علماء على سبيل المثال ، معدل حالات دخول المستشفى والوفيات الناجمة عن فيروس كوفيد -١٩ ، وجدوا أنه يتتبع عن كثب تعكس مستوى دعم الترامبية في جمهور الناخبين. وتتميّز الولايات التي منحت ترامب أغلبية كبيرة من أصواتها أيضًا بأعلى معدلات حالات دخول المستشفى والوفيات بسبب فيروس كورونا. نجادل أثر هذه الأحداث السياسية الحالية على الأجندة الأكاديمية، وعلينا في هذا السياق تقديم أجوبة لذلك.

أ و ب ب : لقد ذهب العديد من علماء الاجتماع في الإعتقاد بأنّ المؤسسات

الديمقراطية والاستبدادية بأنّها مماثلة لأنواع مختلفة من المجتمعات. في وقت لاحق ، أكدت بعدها موجة من الدراسات على «ثقافات سياسية» مُعيّنة باعتبارها مسؤولة عن سواء المسارات السياسية الاستبدادية أو الديمقراطية. يبحث كتابك عن الآليات السياسية التي تشرح التفاعلات بين الحركات وبين الأحزاب في بلدان تتّسم بثقافات متباينة مثال شيلي، وإيطاليا، وكوريا الجنوبية، والولايات المتحدة، دون الاعتماد على القيم أو المعتقدات. هل يشكك كتابك في مفهوم الثقافة السياسية؟

(س.ت): يعود بي هذا السؤال إلى بدايةمسيرتي المهنية حين وضع غابريال ألموند Gabriel Almond و معاونوه مفهوم «لثقافة السياسية» حيث كانوا يعتبرون أن الولايات المتّحدّة شبيهة ب «ثقافة مدنيّة» بتقديم تعريف للولايات المتّحدة حيث يكون فيه الاتّفاق على قواعد اللعبة الديمقراطية متفوّقا على الاختلافات في السياسات. و قاموا بتحديد إيطاليا كونها «ثقافة سياسية خاضعة» تفتقر إلى هذا الاتفاق على الأساسيات. أمّا زميلهم الإيطالي جيوفاني سارتوري فقد ذهب إلى إلى أبعد من ذلك حيث قدّم تعريفا لبلاده بأنها «ديمقراطية نابذة» مقابل دول «جاذبة» مثل بريطانيا أو الولايات المتّحدة وجادلوا بأنّ التهديد الأكبر للديمقراطية كامن في الحزب الشيوعي الذي كنت قد درّسته في جنوب إيطاليا ا. لقد اختبرت هذه الأفكار من خلال مقارنة المواقف ما يسمى بالناخبين الشيوعيين «النابذين» والمسيحيين الديمقراطيين «الوسطيين» تجاه الديمقراطية، وتوصّلت إلى أن لدى الأولى ثقة أكبر في الديمقراطية من الثانية. وشككت منذ ذلك الحين، في تعريفات الديمقراطية القائمة على الثقافة السياسية و شرعت في البحث عن آليات داعمة للديمقراطية أو مقوّضة لها.

تناولت في مؤلّفي *الحركات والأحزاب Movements and Parties* ضمن تناولي لقضايا أخرى وبايجاز شيلي خلال حقبة ما بعد بينوشي Pinochet والتي اعتبرها الكتّاب الأمريكيون حقبة «ديمقراطية قويّة» تستند إلى منظومة حزبية قوية وإلى أنظمة معتقدات ناخبيها. لكن تتسم شيلي كما تعلمان بنظام سياسي على قدر ضئيل من المسائلة الرأسية. حيث مثّلت المسائلة عاملا أساسيًا لضمان الديمقراطية. لكن وكما نعلم الآن كانت المنظومة أضعف بكثير مما كان يبدو لدعاة الثقافة السياسية. وعليه، كان الشكّ يساورني حول أهمّية الثقافة السياسية في بداية مسيرتي الأكاديمية كما في نهايتها.

أ و ب ب : ترتبط الحركات والحركات المضادّة كذلك بعمليّات الانتقال الديمقراطي و بناء الديمقراطية و عمليات ألغائها كما يبيّنه تيلّي. و على مدى طويل رأينا هذه العمليّات بمثابة موجات متعلّقة بأزمنة مختلفة. لكن كيف التعامل مع الغموض والتّعقيد والعناصر المتناقضة للسياسات المثيرة للجدل؟ و نعني بذلك بناء الديمقراطية في بعض النواحي و إلغائها في نواح أخرى خلال نفي الحقبة التاريخيّة؟

(س.ت): يعدّ تيلّي من بين المفكّرين الأمريكيين القلائل الذي قام أيضا بدراسة الحركات الإجتماعيّة ومن الملفت للنظر أن موجة الدّراسات حول الأزمة الحالية للديمقراطية في الولايات المتّحدة لا تشير إلى كتابه المعنون الديمقراطية Democracy (٢٠٠٧). لكن لقد ألهمني هذا الكتاب في محاولتي ربط أعمالي حول الحركات والأحزاب بديناميات بناء الديمقراطية ومعارضتها. أشير أنّ الدروس التي استفدت منها في دراستي للحالات التاريخية الادراك بأنّ الحركات المناصرة للديمقراطية وتلك المعادية لها غالبا ما تكون متداخلة في الفترات التاريخية الحاسمة ويمكنني القول بأنه من المرجّح أنّ تؤدّي «الدورات السياسية» باستخدامي للمصطلح الذي وضعه برينو في أعماله مع ارتفاع مستويات الانخراط والمشاركات الشعبية على النحو الراهن في الولايات المتّحدة الأمريكية، و في ذات الوقت إلى لحظات مناهضة للديقراطية و أخرى مناصرة لها.
لقد صادفت خلال تأليفي لكتاب *الحركات و الأحزاب Movements and Parties* العديد من تلك التقاطعات التي تخلّلت تاريخ الولايات المتّحدة الأمريكيّة. أولاً، ومع تطور حركة حق المرأة في في الإقتراع في أوائل القرن العشرين، نشأت في المقابل حركة مناهضة لحق المرأة في الاقتراع لمعارضتها. ثانيًا ، كما أدّت الأزمة الإقتصادية في ثلاثينيات القرن العشرين إلى نشوءحركة لتوسيع الديمقراطية – خطّة روزفلت الجديدة – و بروز العديد من الحركات المناهضة للديمقراطية مثال الحركة المعادية للساميّة التي أسسها «القسيس الإذاعي» الأب تشارلز أي كوفلين. وحتما أدت حركة الحقوق المدنية في ستينيات القرن الماضي إلى انتشار حركة مناهضة لحقوق السود. لم تكن تلك مجرد تفاعلات بين الحركات والحركات المعادية لها أي أنّه تمّت تعبئة كلا الطرفين باسم ما كانوا يعتبرونه ديمقراطية.

اسمحوا لي أن أكمل إجابتي بالإشارة إلى ديناميكية ترامب / ومناهضة لترامب - والتي بلغت ذروتها في الهجوم الذي شنّه أنصار ترامب على مبنى الكابيتول في ٦ يناير ٢٠٢١. في تلك المناسبة، رأى التقدميون مثلي مثيري الشغب الذين ساعدوا ترامب في إطلاق الأوتوغلبو/ «الانقلاب الذاتي» (وهو مصطلح دخل اللغة الإنجليزية نتيجة لذلك!) كتعبير عن الاستبداد. وصحيح أن دونالد ترامب وأنصاره أرادوا قلب تنائج الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٢٠ ورفض الفوز الانتخابي الشرعي الساحق لجو بايدن. ولكن إن أصغينا بإذعان إلى خطاب المتمردين الذين اقتحموا مبنى الكابيتول لدعم مزاعم ترامب الانتخابية الكاذبة بشأن تزوير الانتخابات، فقد برر العديد منهم أعمال العنف تلك باسم الديمقراطية والحرية.

أ و ب ب : في حديثك عن المجتمع المعاصر تشير إلى كيفية تأثير التفاوت المتّسعة فجوته على العمل الجماعي. لكن التقليد الفكري الذي تنتمي إليه غضّت النظر على العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والعمل السياسي باعتبارها مشكلة مركزية تتعيّن معالجتها معالجتها. كيف ترى هذه المسألة الآن؟

(س.ت): أنت محق في أن نهج العملية السياسية يميل إلى التقليل من أهمية العوامل الهيكلية مثل التفاوتات والطبقة وحتى الرأسمالية في السياسة المثيرة للجدل. يعود ذلك جزئيًا لمسألة تفاعل العلماء مثلي ضد الاتجاه القائم في التقليد الماركسي الجديد للحدّ من جميع أشكال الاحتجاجات على ردود الفعلتجاه الرأسمالية (لاحظ أن هذا لا يزال ينطبق وإلى حد بالغ على نهج النظم العالمية لإيمانويل والرشتاين Immanuel Wallerstein وجوفاني أريغي Giovanni Arrighi وتلاميذهم). حيث أدى التركيز على العوامل السياسية والمؤسسية مثال بُنْيان الفرصة إلى الاستهانة بالتأثير الطبقي والصراعات الطبقية الأعمق.

في السنوات الأخيرة في سياق أعمال عمل ديلا بورتا della Porta ومعاونيها حول أزمة الكساد الإقتصادي الأعظم وسياسات التقشف التي تلتها في أوروبا ، شهدنا عودة إلى دراسة الطبقة ومسألة التفاوتات بوصفها قوى دافعة لتعبئة الحركات. شهدنا أيضًا نهضة للماركسية كمفتاح رئيس لتفسير تعبئة الحركة و ذلك في الأعمال البحثيّة التي تقوم بها مدرسة مانشستر التي تضمّنت باحثين أمريكيّين - جيف جودوين Jeff Goodwin وجون كرينسكي John Krinsky . لكن سعيت في الطبعة الرابعة من كتاب «القوة في الحركات» إلى حد ما تصحيح المعادلة.

أ و ب ب :تباحثنا في نقاشن كثيرا في/الجسور الفجوات القائمة بين الولايات المتّحدة وأمريكا اللاتينيّة و أوروبّا. لحسن الحظ تطوّرت هذه الحوارات ،اكتست دراسات الحركة الاجتماعية سمة أكثر عالمية. في اعتقادك هل تزال هناك حاجة إلى إجراء لخوض المزيد من الحوارات العالمية (وأفضلها) حول الحركات الاجتماعية المعاصرة؟

س.ت: ثمّة مسائل عديدة الكثير من الأشياء لذكره يتعيّن أن نأتي على ذكرها في هذه المقابلة القصيرة و باستثناء العمل الدقيق لباحثين على غرار Hansperter Kriesi

و Donatella della Porta تجدر الإشارة إلى غياب المقارنات عبر الإقليمية المهيكلة وعلاوة على عمليات إعادة البناء التاريخية التي ترجع إلى مباحثين من أمثال ستيفن ليفيتسكي ودانييل زيبلات يظلّ الغياب في المقارنات عبر القومية حول كيفية قيام الحركات الشعبوية بمهاجمة الديمقراطية وتدميرها واضحا أيضا. و بالإضافة إلى الأعمال الرائدة قلّة من الباحثين الشبان نشير إلى ندرة الأبحاث عبر الإقليمية حول التقاطع بين الحركات والنظم القانونية.

لكن إن توجب علي التخمين أعتقد أن الخطوة االقادمة في مقارنة الحركات عبر القارات ستتمحور حول تجاوز المنظورات التحليلية الجزئية والمتوسطة لتشمل التأثيرات الهيكلية الكلية للسياساتالمثيرة للجدل. إذ خطت دوناتيلا ديلا بورتا Donatella della Porta ومجموعتها في فلورنسا هذه الخطوة في المسا ر التي كان لها البروز من من خلالأعمالها حول الحركات المناهضة سيسات للتقشف في أوروبا ما بعد الركود الإقتصادي. وعدا عن هؤلاء الباحثين الدين أشرت إليهم، قلة هم الذين حاولوا العودة إلى المنظورات الهيكلية الكلية التي ميزت عقودًا سابقة من أبحاث الحركة الاجتماعية دون أن تفقد الرؤى القيمة ال مستنيرة لمقاربات العملية السياسية الحالية. إنني أتطلع إلى الأجيال القادمة في إحراز المزيد التقدّم في هذا الاتجاه. ■

توجّه كل المراسلات إلى سيدني تارّو على البريد الإلكتروني sgt2@cornell.edu

> دفاعا عن الحدّ الأدنى من العلمانيّة

بقلم **سيسيسل لابورد**، جامعة أوكسفورد، المملكة المتّحدة

رسم توضيحي/رسم لآربو، ٢٠٢٣

هل يتعيّن على الدولة الليبرالية أن تكون علمانية؟ وهل تستدعي اللّيبرالية الفصل الصارم بين الدولة والدّين؟ ليست المسألة مجرد قضية نظريّة فأغلب الدول الغربية دول علمانية وتحتمل المؤسسات الدينيّة والعقائد الدينيّة بأشكالها المختلفة وتلتقي معها للحفاظ على الدين والدولة منفصلَين. وكذلك ارتباط القوانين والمؤسسات الليبرالية بالمظاهر المتنوعة للحياة الدينية. ومع ذلك ، فإن الغالبية العظمى من الناس في العالم يعيشون في ظلّ أنظمة تكون إما ثيوقراطية دستورية - حيث يتم تكريس الدين رسميًا في الدولة - أو يكون الانتماء الديني أحد أعمدة الهوية السياسية الجماعية. و لكن ترتبط السياسة والدين في بلدان مختلفة مثل مصر، وإسرائيل، وتركيا، والهند، وإندونيسيا، وبولندا ، على سبيل المثال لا الحصر، ببعضهما البعض بطرق تفنّد أي نموذج مبسط للفصل العلماني وتدحضه. إذ يمثّل الدين أكثر من مجرّد بيان عن المعتقد حيث تلجأ العديد من هذه الدول، على سبيل المثال، إلى العقائد الدينية عند سن القوانين وتبريرها كما توفر مزايا مادية ورمزية لأعضاء ديانة الأغلبية إضافة إلى انفاذها لمعايير محافظة في مسائل الجنس والأسرة. يطرح السؤال التالي: هل هم بحكم الأمرالواقع يخرقون بذلك الشرعية الليبرالية؟ وهل ثمّة حدّ أدنى من العلمانية - أو فصل بين الدولة والدين - ما تقتضيه الشرعية الليبرالية؟

أتناول في كتابي الموسوم دين *الليبيراليّة Liberalism's Religion* وجود مثل هذا الشرط. وأساجل أنّ العلمانيّة ليست بالبساطة التي تبدو عليها بل تعدّ العلمانية مع ذلك قيمة سياسية أشدّ تعقيدًا مما يتصور. يأتي الكتاب في جزأين قمت في الأوّل بتصنيف مختلف مسارات العلمانية، مبيّنة كيفية ارتباطها بأبعاد مختلفة لما أصبحنا نسمّيه(في الغرب) الدين. وبدلاً من طرح السؤال: هل بامكان العلمانية السفر؟ - التي تدعو إلى إجابات تقيس مدى نجاح البلدان غير الغربية فيما يتعلق بنموذج مفترض للعلمانية الغربية – أثرت الجدل حول أسئلة تتناول إمكانية الدولة الليبرالية في إقامة دين معيّن بقوانينها ومؤسساتها وانطلقت من المثل الديمقراطية الليبرالية من فرضيّة أن هذه لا تتسم بنزعة عرقية: إذ تعدّ حقوق الإنسان والحرية والمساواة والديمقراطية تطلعات كونيّة. ثم مررت لطرح السؤال مقدار بين الدولة والدين ونوع الفصل المطلوب لضمان هذه المثل العليا. و بايجاز، أستخلص الحد الأدنى من الجوهر العلماني للديمقراطية الليبرالية.

> المثل الليبرالية الديمقراطية الأربعة

من الخطإ من وجهة نظري أن تفترض أن الديمقراطية الليبرالية تقتضي فصلًا صارمًا بين الدولة والدين على نحو النموذج الفرنسي أو الأمريكي. ثمّة مجموعة أوسع من العلمانيات المسموح بها. أربع مُثُل ليبرالية ديمقراطية يقوم عليها الحد الأدنى من العلمانية و يثبتها ألا وهي الدولة القابلة للتبرير، والدولة الشاملة (inclusive)، والدولة المحدودة، والدولة الديمقراطية. تنتقي كل منها سمةً مختلفة للدين: وكل دولة ستأخذ سمات معينة في الدين: الدين بوصفه غير قابل للنفاذ

>>

(non-accessible)؛ الدين باعتباره عقيدة مهدّدة؛ والدين الشامل؛ والدين باعتباره ثيوقراطيا. دعني أحلل هذه المثل الواحدة تلو الأخرى.

> الدولة القابلة للتبرير

تقوم الدولة القابلة للتبرير على فكرة أن مسؤولي الدولة يجب عليهم فقط تبرير أفعالهم من خلال التماس أسباب عامة يسهل بلوغها والتي تعمد إلى تبرير القوانين بالعودة الى العقل الجماعي للمواطنين. ففي نظرية الحد الأدنى من العلمانية، على المسؤلين في الدولة لا غيرهم التزام تقديم الأسباب العامة: يعني أنّ العلمانية بعدّ عائقا يحول دون عمل الدولة وتبريرها، لا واجبًا يلتزم بتأديته المواطنون. إذ يلتزم مسؤولي الدولة بعدم اللجوء إلى سلطة المذاهب المقدسة أو التفاصيل الشخصية لتبرير الإكراه القانوني الدين يسلّطونه على المواطنين. أو القهر الديني المدعوم من الدولة وحيث تُحدّدُ إمكانية المنال والإتاحة ما يحتاج المواطنون إلى تقاسمه، في مجتمعات معينة، من أجل المداولات العامة حول الأسباب التي تعزى لها امكانيّة انفاذ القوانين على الإطلاق. بل والأهم من ذلك، لا تبدو المعتقدات الدينية صعبة المنال (non-accessible) فقط، وليست الأفكار الدينية كلّها صعبة المنال: فشرط المنال لا يستثني حضور الدين في المجال العام.

أمّا الدّولة الشاملة فتستند إلى فكرة عدم ارتباط الدولة بأيّ هويّة دينيّة، خشية حرمان المعارضين وغير الأعضاء من التمتّع بالمساواة في الحقوق المدنيّة. فمجرد الاعتراف الرمزي يعدّ خطأ إن - ولكن فقط إن- قام بخرق المساواة في المواطنة. يختلف بُعد الدين الذي يتم تحديده في هذا السياق عن البعد السابق يعني أن لا علاقة هنا للدين بالالهام الشخصي أو المعتقدات أو المذاهب التي يتعذر منالها. بل هو مماثل بالأحرى هيكليًا للهويات الأخرى المثيرة للانقسام أو للهشاشة السياسية من قبيل العرق، وأحيانًا الثقافة أو الهوية الإثنيّة. وعليه، يتعيّن على الدولة الليبرالية ألّا تكون دولة مسيحية أو دولة هندوسية حين تمثّل هذه الهويات - كما هو الحال في العديد من الدول اليوم – عوامل تساهم في البروز السياسي والاستضعاف. ولكن تقلّ أسباب للفصل العلماني في المجتمعات التي لا يتّسم فيها الدين بهوية هشّة ومسببة للانقسام الاجتماعي.

تقوم الدولة المحدودة على فكرة تنطوي على مدى سلطة الدولة وحدّها أي أنه لا ينبغي للدولة الليبرالية أن تفرض أخلاقيات الحياة الشاملة على مواطنيها. فالبعد الديني الذي تُأَشكله القيم الليبرالية هو الدين باعتباره أخلاقيات شخصية شاملة تتضمّن التعليم والجنس وقواعد الأكل، والعمل، واللّباس وغيرها. فالعديد من الحقوق الليبرالية نتاج نضالات وكفاحات شاقة اتت أكلها بشق الأنفس ضد سلطة السلطات الدينية و الأوساط التقليدية وذلك في سعي إلى بناء مجال من الحرية الفردية والحفاظ عليها. لنضع في الإعتبار مجموعة القوانين الليبرالية في القرنين التاسع عشر والعشرين على نحو القوانين المتعلقة بالزواج والطلاق وحقوق المرأة والحياة الجنسية والصراعات المعاصرة حول الإجهاض وحقوق المثليين في أفريقيا وأمريكا الجنوبية والشمالية. ومع ذلك، لا يتعلق الدين كله بأخلاقيات شخصية شاملة إذ توفر المعتقدات الدينية أيضًا معايير جماعية للتنسيق والتعاون (مثل الأعياد) والتي تمثل تهديدات أقل حدة للحرية الفردية.

أخيرًا ، تعتبر الدولة الديمقراطية ضرورية طالما للمواطنين آراء عميقة الإختلاف حول الحدود بين الأخلاق الشخصية والجماعية ،و بين العام والخاص، والحق والخير. لقد جادل جون لوك John Locke بأن الدولة بالتزام تعامل مع المصالح «المدنية» مع ترك الأمور «الروحية» لخلاص الروح للأفراد في حياتهم الخاصة. لكن نتساءل هنا من ذا الذي يقرر ما يتعلّق بالمدني، وماذا يخصّ الروحانيات؟ تجدر الإشارة إلى أنّه في مجالات مثل استقلالية الكنيسة وقوانين مناهضة التمييز وطبيعة الفرديّة والأسرة والزواج والأخلاقيات البيولوجية والتعليم، لا تخرج المبادئ الليبرالية العامة بحلول محددة، قاطعة وحاسمة بشكل فريد. ففي مثل هذه الحالات المتضاربة ، تتمتع الدولة الديمقراطية - على عكس السلطات المتنافسة مثل الكنائس - بالسلطة السيادية النهائية. فهي تقرر أين تقع الحدود الفاصلة بين الدنيوي والعالم الآخر، وبين الديني والعلماني. هذا في جدالي ما أعتبره راديكالياً في علمانية الليبرالية أي إنها ديمقراطية من حيث أنها تضع شرعيتها في إرادة الشعب، أو سلطة من خارج نطاق السياسة بمشيئة إلاهيّة أو ذات أسس فلسفية.

> السيادة الديمقراطية

لذا، لا يكمن التحدي الأكثر راديكالية والذي تفرضه الليبرالية على الدين في محاولة الليبرالية المحافظة على جدار الفصل بين الدولة والدين، بل في فرضها للسّيادة الديمقراطية. هنا يتجلّى اختصاص الدولة بالسيادة المذكورة دون غيرها. ففي حدود الشرعية الليبرالية الأساسية وحقوق الإنسان عديدة هي الخلافات العميقة المعقولة التي يجب أن تسوّى ديمقراطيا. بالتأكيد لا مجال في أن تُعادل الديمقراطية باستبداد الأغلبية، بل يجب أن تنصّ على تمثيل الأقليات، والفصل بين السلطات، وتكفل المراجعة القضائية. يسمح هذا المفهوم الديمقراطي للشرعية الليبرالية بمزيد من التباين في الترتيبات المسموح بها بين الدولة والدين أكثر مما افترضه الليبراليون العلمانيون والليبراليون ذوو التفكير الديني.

وعلى النحو ذاته الذي تنتهجه الأغلبية العلمانية في فرض مفهومها الخاص للحدود الفاصلة بين الدولة والدين يمكن للأغلبية الدينية طالما تلتزم باحترام المبادئ الليبرالية الثلاثة الأخرى للتبرير القابل للمنال، والشموليّة المدنية، والحرية الفردية. في المجتمعات العلمانية، سيعكس قانون الدولة بشكل طبيعي الأخلاق غير الدينية للأغلبية ويعززها من خلال مثلا تفكيك هياكل الأسرة التقليدية والزواج وتوسيع نطاق المعايير المتعلقة بحقوق الإنسان وعدم التمييز. وكذلك يتسنّى لهؤلاء المواطنين في المجتمعات التي يشكل فيها المواطنون المتدينون أغلبية، تشكيل المجال العام لمجتمعاتهم، ولكن فقط ضمن قيود ما أسميته الحد الأدنى من العلمانية الليبرالية. أبعد من ذلك، لا يطمح الحد الأدنى من العلمانية إلى تقديم إجابات موضوعية نهائية للأسئلة الرئيسية المتعلقة بالأخلاق السياسية والعامة والخاصة والجنسية. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى سيسيل لابورد على البريد الإلكتروني cecile.laborde@nuffield.ox.ac.uk

> في الليبرالية الشموليّة

والليبرالية السياسية والأيديولوجية

بقلم **عزمي بشارة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر

رسم زيت و أكريليك على قماش كانفا، المصدر: "بيلا ريغي" (instagram.com/belafrighi)، ٢٠٢٠

ستعصي الجدل المحتدم (في الأوساط الأكاديمية على الأقل) حول الفرق بين الليبرالية الشموليّة والليبرالية السياسية على الفكر الليبرالي التطبيقي في أي ركن من أركان العالم حيث يدور مثل هذا التفكير. و لا يبدو تصنيف رولز John Rawls لليبرالية كونها سياسية أو شموليّة أمرا ضروريًا. فالليبرالية السياسية قائمة وفق راولز على البديهيات الليبرالية التي تشكل معظم قيم الليبرالية «الشموليّة»، في ما عدا أنها لا تعتبرها قيما جوهرية بل تتعامل معها بوصفها معطيات معرفية. من ناحية أخرى حين تجد الليبرالية الشموليّة نفسها في موضع السلطة ، فإنها تصبح بحكم الضرورة ليبرالية سياسية. تعتبر هذه الأخيرة في الممارسة العملية أقرب إلى أيديولوجية سياسية. وبهذا المعنى، تعدّ شموليّةً. إذ يتعيّن على كلّ نسخة سياسية لأي عقيدة أن تغدو أكثر شمولية من النسخة غير السياسية.

> رأي أوّل

يُزعم أن الليبرالية السياسية تدير أنظمة الحكم التعدّديّة غايتُها حماية حق المواطنين

>>

في العيش والامتثال والنأي بأنفسهم عن المذاهب الشموليّة المتعلقة بنمط الحياة الجيدة، حيث امكانيّة طرح هذه المذاهب ومناصرتها والدفاع عنها بحجج منطقيّة. وملّا الليبرالية السياسية، التي تعتبر وظيفة الدولة الرئيسية صون حريات المواطنين، لا تفرض عقيدة ليبرالية، فهي تفترض إجماع الغالبية الساحقة حول التصور السياسي وموافقتها على المبادئ الدستورية التي تنطلق منها في الممارسة.

الليبراليون في السلطة ليبراليون سياسيون، أمّا خارج سدّة الحكم، فلهم الحقّ في ممارسة معتقداتهم الليبرالية كما يدركونها. إلّا أنه لا يملكون القدرة على إدارة الدولة وفق الليبرالية العقائدية الشموليّة بموقف يرقى «لحياة جيدة» و ذلك لحاجتهم إلى مؤسسات الدّولة لفرض تلك العقائد.

لا يمكن اثبات صحّة ادعاء جون راولز John Rawls كون الليبرالية الشموليّة تزداد احتمالا إلى فرضها من خلال أدوات إكراه الدولة سواء نظريًا أو بالتجربة. إذ يكون الأشخاص ذوو المعتقدات الليبرالية الشموليّة (على الرغم من تحفظاتي على هذا التصنيف) الأكثر ترجيحا لمعارضة استخدام إكراه الدولة لفرض معتقداتهم. حيث يحول التزامهم بالحريات المدنية وقناعاتهم الراسخة حول تقييد سلطات الدولة دون القيام بذلك. يتّسم هؤلاء الليبراليون بكره أعمق لمسألة تدخل الحكومة في المجتمع وهم أكثر ميلا للحدّ من تدخلات الدولة التي قد تنتهك الحريات الفردية، وكذلك الأكثر حرصًا على تمكين الناس من الاستفادة من حرياتهم واغتنامها. وهذا هو المنطق الذي دفع هؤلاء الليبراليين لا فقط بقبول سياسات الرعاية الاجتماعية بل بالمطالبة بها أيضا.

ولأن الليبرالية السياسية تعنى بإدارة الدولة لن تكون ذات أهمية بالغة ما لم تؤدي هذه المهمة أو تسعى جاهدة لإنجازها، فهي تحتاج إلى ضمانات دستورية تحميها من تقلّب قاعدة الاغلبية في الأنظمة الديمقراطية. نقيس على سبيل المثال المد الشعبوي الأخير الذي يجتاح المجتمعات الديمقراطية حيث يستغل اليمين غير الليبرالي القواعد والمبادئ الديمقراطية لإقرار التشريعات التي تتعارض مع الليبرالية السياسية. أو لننظر مثلا إلى انتشار المزاج العام المعادي لوجود الضمانات الدستورية للحقوق والحريات التي توجه عمل الهيئات غير المنتخبة. تكررت الأزمات الناجمة عن الصراع بين الليبرالية والديمقراطية ، مثال بين الحوكمة وفقًا للقيم الليبرالية والحوكمة وفقًا لإرادة الأغلبية، بشكل شبه منتظم منذ التقاء هذين الجانبين من الديمقراطيات الليبرالية في القرن العشرين. وجوهريًا تعتبر مثل هذه الأزمات مفيدة من حيث توفيرها الفرصة للنظام بالتعديل في أعقابهم، لكن ظل هذا مرتهنا بحماية مؤسسات الدولة لقيم الليبرالية السياسية.

قد تفضي إحدى القراءات للظروف التي تكتنف البلدان الديمقراطية الليبرالية إلى استنتاج مناقض مفاده أنّ الليبرالية السياسية هي التي تستلزم الإنفاذ من قبل الدولة (على الأقل خلال أزمنة اندلاع الأزمات المذكورة أعلاه) ، بينما يمكن اتاحة المجال لليبرالية الشاملة بالتحول إلى ثقافة فرعية وحتى إلى نمط حياة قائم على قيم معينة تختار الطبقات الوسطى الالتزام بها، و الدفاع عنها أو عدم صونها، أو مراعاتها بدرجات متفاوتة من الموثوقيّة أو النفاق. وقد يجد مثل هذا الاتجاه نفسه بمعزل عن العمليات الاجتماعية والسياسية التي تتكشف بين شرائح أوسع من المجتمع. ، فحين محاولة إملاء أعراف الصواب السياسي على المجتمع ككل على سبيل المثال، يصاب من يُطلق عليهم الليبراليون الشموليون بالصدمة من المد الشعبوي والتأثير المتزايد للمجموعات التي تستاء من مثل هذه المحاولات لاعتبارها تتسم بالاستعلاء و فرض الوصاية أو تأكيدها.

إنّ الليبراليّة الشموليّةالتي تدافع عن مفهوم محدّد «للحياة الجيّدة» في اعتقادي ليبراليّة خارج الحكومة لأنّ جهودها الرامية إلى فرض اديولوجيتها -بقطع النظر عن حمايتها و تمكينها من النفاذ إلى الحرّيات و الاستقلال الذاتي—ستثبت إلحاق الهزيمة بالذات وآثارا عكسيّة أو التعرّض لمخاطر الارتداد و الانزلاق نحو اللاليبراليّة.

فالليبراليّة السياسية لا تعدو أن تكون ليبراليّة في السلطة لا أكثر و لا أقلّ. وهي ليبراليّة وُضعت على محكّ الحوكمة. إذ تزخر المناقشات (في تضاعيف الفلسفة السياسيّة والفلسفة الأخلاقية وكذلك الاجتهاد القضائي / فقه القضاء بالمعضلات التي تواجهها مختلف التيارات الليبراليّة حين تكون في الحكم، معضلات ذات الصلة بدرجة تدخّل الدولة في الإقتصاد وفي معنى المساواة ودلالاتها و في أمر هل ثمّة شيء بمعنى الحقوق الجماعيّة أوما إذا كانت الحقوق الفردية وحدها هي الصائبة. فنصيرو الحقوق الجماعية يعانون هم ذاتهم من انقسامات بين من يعتقدون أن تلك الحقوق مستمدّة من الحقوق الفرديّة في التجمع الطوعيّ وبين من يقبلون بفكرة أن حقوق الجماعة تعزى إلى المجتمعات المحليّة. فهذا الفصيل الأخير منقسم بدوره في علاقة بمدى أسبقيّة حقوق الجماعة على حقوق الأفراد و كذلك أسقبيتها على حماية الحقوق الفردية في تضاعيف المجموعة.

ثمّة المئات من الكتب وآلاف المقالات المنشورة والتي ساهمت في مثل هذه الجدالات. لا أعرف مجموعة أكثر «شمولية» من تلك المتعلقة الليبرالية السياسية ، وهذا هو التحدّي الذي يواجه الليبرالية. لسائل أن يسأل هل تتباين المقاربات الليبرالية السياسية في أحكامها الأخلاقية حول هذه المسائل؟ تعم ثمّة تباين. وعليه تعتبر الليبرالية السياسية من هذا المنظور أكثر شموليّة من الليبرالية الشموليّة كونها تتناول أوجها مختلفة من حياة حياة الأفراد والتجمعات الإنسانية ومن الدولة، إضافة إلى الاضطرار مواجهة أوجه الغموض الذي يكتنف الليبرالية الشموليّة فيما يتعلق بالعلاقة بين القيم والممارسات.

> منظور ثان

يتطابق الاستنتاج السابق مع الاستنتاجات الأخرى التي يمكن استخلاصها من منظور الحياة في ظل الأنظمة الاستبدادية، حيث لا تزال الليبراليّة تُصنّف الليبرالية خارج هياكل السلطة تُصنّف تحت مظلّة الليبرالية السياسية. يعدّ مثل هذا التصنيف ممكنا لأنه يكشف نفسه أحيانًا داخل النظام من خلال مقترحات لبرامج إصلاحية ترمي إلى توسيع نطاق حرية التعبير والحريات المدنية أو يتبيّن عبر مطالب قوى المعارضة السياسية.

قد يصطدم الفكر الليبرالي العقائدي وأنماط الحياة - وفقًا لمبادئ الاستقلال المعنوي للفرد والحقوق المدنية والحريات الشخصية (لكل من الرجال والنساء) - على المستوى الاجتماعي في هذه الدول- مع الممارسات الاستبدادية. لكن قد يصطدمون في الآن ذاته مع حركات عقائدية معارضة أخرى تسعى إلى تغيير نظام الحكم و تستخدم الدّولة لفرض عقيدتها.

لم تعد معظم الأنظمة الاستبدادية الحاكمة في العالم منذ انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، أنظمة إستبداديةدكتاتوريّة حيث لم تعد تفرض عقيدة شاملة على المجتمع وعلى المؤسسات. وراهنا تمضي أغلبيّة تلك الأنظمة في تبرير وجودها بالحجج القائمة على مبدأ السيادة، والمصالح الوطنية، وعلى قضايا الأمن والاستقرار، وعدم توافق الناس الثقافي المزعوم مع الديمقراطية، وعلى نحو متزايد، في تبريرهم لما يطلقون عليه فشل الليبرالية في الغرب. تشير إلى أن جميع الأنظمة الاستبدادية تحتاج إلى قدر كبير من العنف الجسدي والنفسي لتأمين استقرارها وتثبيته. وعادة، ثمّة بعض أوساط المعارضة التي تتبنى ايديولوجيات غير ليبرالية شاملة. قد تكون تلك هامشية، لكن السلطات تستخدمها لتثبيط التغيير.

تجدر الإشارة إلى حدوث تطوّر طريف في هذا السياق السياسي. فبدلاً من أن تتجلّى الليبراليّة في شكلي الشموليّة مقابل السياسية، أصيبت الليبرالية بشرخ منقسمة إلى نسختين تتبنى الأولى الحريات السياسية والمدنية ومبادئ مناهضة للاستبداد، وتركّز الثانية حصريًا على الفرد بمعنى الحريات الشخصية وخيارات نمط الحياة (مرة أخرى أتغاضى هنا النيوليبراليين الذين يحصرون الليبرالية في مجال الاقتصاد، وأنا لا أعتبرهم ليبراليين أصلاً). من المفارقات ، قد يجد هذا الضرب من الليبرالية الأخيرة نصيرُ مبدإ الحريات الشخصية وأنماط الحياة نفسه أكثر ارتياحا مع بعض الأنظمة الاستبدادية القائمة لأنّ تلك الأنظمة لا تولي--رغم قمعها للأنشطة السياسية والحريات المدنية--اهتماما بالغا بالحريات الشخصية للفرد.

قد يصل الليبراليون العقائديون في الدول الاستبدادية حين التفكير سياسيًا إلى قناعة بضرورة تأجيل النضال من أجل الحريات الشخصية على المستوى السياسي لصالح اقتراح

برنامج ليبرالي يرمي إلى إرساء نظام حكم يَعِدُ بالتعددية السياسية المفتوحة لأتباع المذاهب الشاملة المتنوعة. ضامنة حامية للحقوق المدنية وللاستقلال المعنوي للفرد. لكن هذا قد يكون شكلا من أشكال خداع الذات. إذ قد تفسح الإطاحة بالنظام الحالي دون خوض صراع من أجل القيم الأساسية لليبرالية - على الأقل على مستوى النخب السياسية - طريق السلطة للقوى الملتزمة بالتعددية السياسية للأغراض الانتخابية فحسب، بدلاً من حماية الحريات أو الاستقلال المعنوي للفرد.

إن وجود النخب السياسية الملتزمة بالمبادئ الليبرالية السياسية، بغض النظر عن خلافاتهم الايديولوجيّة ، ضروري في أعقاب الإطاحة بأيّ نظام استبدادي. ففي مثل هذه اللحظة التاريخية، يبدو من غير المرجح أن تلتزم الثقافة الشعبية السائدة،وبسهولة بعد عقود متتالية من العيش في ظل حكم مستبد، بشيء مماثل لتوافق ليبرالي دستوري أو توافق متداخل. كما لن تترسخ الحريات المدنية والسياسية في الثقافة الشعبيّة.

عادةً ما يقال إن الليبرالية نظرية معيارية وبالتالي فهي فرع من فروع الأخلاق. قد يصحّ هذا القول على مستوى الحلقات الدراسية والمؤتمرات الأكاديمية. لكن تغدو الليبرالية أيديولوجية ضمن الصراع الاجتماعي والسياسي. ففي هذا السياق، تكتسب جودة الشمولية معنى وتتخذ دلالات. إذ من غير الممكن أن تتسم الليبرالية الفلسفية بالشموليّة بهذا المعنى؛ فهي دائمة التجرّد حتى حين يغدو الأمر معقدًا بما يكفي لتطوير نظام فلسفي مكتمل. و في المقابل، يمكن أن تكون الأيديولوجيا شموليّة وإن لم يكن ذلك بالضرورة وفقا لدوغمائيّة شمولية أو جامعة شاملة. بدلاً من ذلك، بل شامل في رسوخه في المجتمع و في تواصله مع مختلف أوجه الحياة والثقافة (اللغة ، والدين، والأعراف إلخ...)، والمصالح. و هكذا تتمكّن من التعامل مع الناس من خلال نسجها لخيوط بين الحريات وبين ثقافتهم ومصالحهم وروح الوطنية، وتقديم برنامجها السياسي الليبرالي لتحرير الفرد والمجتمع. تجد الليبراليّة نفسها حين مغادرتها لعالم الفلسفة لتنخرط في الحقائق الواقعية الملموسة للصراع السياسي والاجتماعي، مضطرّة إلى وضع عباءة الشموليّة لأنها سياسية. وعليه، يدعو الليبراليون على سبيل المثال إلى تحرير الفرد والمجتمع من الاستبداد دون إبعاد الناس وتنفيرهم وذلك بافساد أسس الثقافة الدينية السائدة. فهم يدركون أنّ عليهم تقديم حلول للفقراء الذين لن يتبنّوا فكرة الحرية السياسية التي تفشل في معالجة محنتهم الاقتصادية. كما يمكن في الآن ذاته «لليبراليّ» من يمثّل أسلوب الحياة الشخصي التقدمي القضية الأساسية التعايش مع نظام استبدادي علماني. ويمكن لمثل هذا الليبرالي الاتفاق مع الآخرين الذين تقتصر «ليبراليتهم» على اقتصاد السوق من أجل غض الطرف عن الانتهاكات اليومية لحقوق الإنسان أو لإقناع النظام الاستبدادي الحاكم بقبول إملاءات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي مقابل- أو حتى على أمل الحصول على مزيد من القروض.

توجّه كل المراسلات إلى عزمي بشارة على البريد الإلكتروني azmi.beshara@dohainstitute.org

> علم الاجتماع بوصفه استمرارا للفلسفة الأخلاقية بوسائل أخرى

بقلم **فريديريك فاندينبيرغ**، الجامعة الاتحادية لريو دي جينيرو، البرازيل و عضو لجنة البحوث المعنية بالنظرية السوسيولوجية(RC16) التابعة للجمعية الدولية لعلم الإجتماع.

يعدّ علم الاجتماع مثله مثل علم الفلك وعلم الأحياء وعلم المصريات تخصّصا علميًا. فالتخصّصات تمثّل الوحدات الرئيسة للتمايز الدّاخلي في مجال العلوم. ومع ذلك يعتبر مثل هذا التنظيم في العلوم لتخصّصات ابتكارا حديثا. إذ كان العلماء (المحترفون والهواة منهم على حدّ سواء) حتى عام ١٧٥٠، ذو معرفة عمومية وموسوعية. ثمّ برزت التخصّصات العلمية من خلال التمايز الداخلي للعلوم في القرن التاسع عشر باعتبارها طرقا جديدة في اكتساب المعارف لأغراض التّدريس والتعلم.

ظلّت العلوم ولفترة طويلة داخل دائرة الفلسفة. ثمّ انبثقت الثورة العلمية في القرن السادس عشر من اقتران رياضيات الوصف بالطريقة العلمية التجريبية في الفيزياء. حيث انطوت التغيرات في مجال البحث العلمي ومعاييره. وتلتها ثورة علمية ثانية في القرن الثامن عشرحين تمايزت هذه التخصّصات وانفصلت عن الفلسفة. أفسحت الفلسفة الطبيعية المجال للفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. وعلى نحو مماثل استُعيض عن الفلسفة الأخلاقية بوحدات تخصّصات شكّلت مجال العلوم الاجتماعية (التاريخ، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والأنثروبولوجيا). أمّا العلوم الإنسانية، من جانبها ، فقد كانت تعرّف بشكل سلبي لتشمل تخصصات مستثناة من العلوم الطبيعية والاجتماعية.

لقد برز في أوروبّا القرن التاسع عشر وضمن العلوم المتمايزة علم الاجتماع غداة ثورة جامعة هومبولدتي في ألمانيا بسمارك Bismark وإنشاء المعاهد العليا في فرنسا نابوليون- من تقاطع العلوم الانسانية الألمانية *Geisteswissenschaften* والعلوم الأخلاقية البريطانية (التي كانت تشمل الاقتصاد السياسي) والفكر السياسي الفرنسي. حيث برزت السوسيولوجيا كفرع تجريبي من فروع الفلسفة التاريخيّة. وبينما تمّت مأسسة التخصّصات الحديثة باعتبارها علوما بحثية قائمة على التجربة وبالتالي علوما واقعية *Wirklichkeitswissenschaften*، استمرّت هذه التخصّصات في مذهب الفلسفة الأخلاقية (في معناها الواسع) بوسائلهم الخاصّة.

> علم الإجتماع والعلوم الأخلاقيّة

لا تستوعب الفلسفة الأخلاقية في المعنى الواسع الفلسفةَ الأخلاقية والفلسفة العمليّة والفلسفة السياسية فحسب بل تحوي فلسفة التاريخ. وحتى يومنا هذا، لا يزال علم الاجتماع ضمن مصفوفة «ما بعد الهيجلية النيو-كانطية»، إن نحن استقينا تسمية بول ريكور الملائمة ولكن غير بديهيّة . إنها سوسيولوجيا نيو كانطيّة يصوغ في صياغة بحوثها و تصوّرها مع الإشارة إلى سلسلة من المفاهيم المدرجة على نحو منهجيّ والتي تحدد ما هو اجتماعي وكيف تتمّ دراسته. و هي سوسيولوجيا ما بعد الهيجيلية لإزالتها ديالكتيك المطلق واكتفائها بتحليل التطور التاريخي للروح الموضوعية ضمن المؤسسات الاجتماعية.

لم يكن من المفترض أصلا أن يكون علم الاجتماع تخصّصًا علميًا اجتماعيًا من بين التخصصات الأخرى. من المؤكّد أنّه كان فرعا متخصصًا يعنى بدراسةالحقائق الاجتماعية ؛ومع ذلك ، فقد كان تخصّصا فائقًا وحّد التخصصات الحقول العلميّة المجاورة في علم اجتماع عام ويمكننا القول- اليوم ألّفها في نظرية اجتماعية. أشير إلى أنّ كلا من المذهبين الفرنسي والألماني يصوّران علم الاجتماع باعتباره تخصصًا فائقًا نظّم إنتاج المعرفة العلمية الاجتماعية ونسّق البحوث فيما بين تخصصات العلوم الاجتماعية في فلسفة التاريخ التجريبية و الصالحة أخلاقياً، وملتزمة سياسياً دون علم غائي أو ضمانات ميتافيزيقية.

> إعادة تأسيس العلوم الإجتماعيّة

وإن أنا عدّت إلى التاريخ المبكّر لعلم الإجتماع فلأنني أعتقد في الحاجة الملحّة راهنا إلى إعادة تشكيل العلوم الاجتماعية ككل. فنحن نلحظ انطواء التخصّص وتحوّله بشكل متزايد نحو الداخل، بعيدًا عن الفلسفة وعن العلوم الإنسانية، ومدافعا عن نفسه بتحديدها من خلال مناهجه وبياناته ممّا جعله غير ملائم لفهم التحولات التي تشهدها المجتمعات و إدراك إرهاصاتها في جميع أنحاء العالم و بشكل عامّ. و في سياق وجد فيه علم الإجتماع نفسه غارقا في سرعة التغيير المجتمعي الذي أحدثته الرقمنة في العالم ويعاني من أوضاع مهتزّة جرّاء تراكم الأزمات المتنوعة التي لم تتوقّع حدوثها، ومتاثّرة بالحركات الاجتماعية الأحدث التي تتشدق بها و بكلام أجوف دون قدرته على تلبية مطالبها نظريًا، أخذ هذا التخصّص في التراجع عن طموحاته النظرية وقطع شريان الحياة للفلسفة.

يعدّ الاحتفاء بنظريات المدى المتوسط الاجتماعية على حساب النظرية الاجتماعية، والذي يتجلّى بصورة بارزة في الولايات المتحدة وفرنسا، غير مجدٍ من هذا المنطلق. حيث ابتعدت النظرية الاجتماعية عن مجال علم الاجتماع ويتمّ تطبيقها وممارستها راهنا في دائرة النظرية النقدية (بالمعنى العام، وليس بالمعنى التموضعي التي حددته مدرسة فرانكفورت) وفي الدراسات (التي أشير بها إلى مجموعة من التخصصات المتعددة التي تعمل على تفعيل ما بعد البنيوية). نقترح في كتاب من أجل علم الاجتماع الكلاسيكي الجديد، وهو كتاب ألّفناه أنا وآلان كايبه Alain Caillé معا، تحالفًا جديدًا بين النظرية الاجتماعية والفلسفة الأخلاقية والسياسية وبين الدراسات. فوفقا لهذه الرؤية، تغدو النظرية الاجتماعية الفضاء الذي يسنح بإعادة تحديد الفلسفة والعلوم الاجتماعية والإنسانيات الحديثة فضاء يسنح للعلوم الاجتماعية أن مواصلة مشروع الفلسفة الأخلاقية بوسائلها الخاصة.

حتى لو لم يعد أحد يؤيّد المركزية الأوروبية التي عادةً ما تأتي كحزمة من روايات تطورية للتنمية يبدو التفادي التام لفلسفة التاريخ وافتراضها المسبق بأن ثمّة شيئًا مثل التاريخ يربط بين المجتمع والناس عبر الزمان والمكان أمرا عسيرا . إذ تشير بوصلة التحول من فلسفة التاريخ ما بعد الهيجلية إلى فلسفة نيوكانطية للعلوم التاريخية في الاتجاه الصحيح. أما بالنسبة لعلم مثل علم الاجتماع المرتبط ارتباطًا وثيقًا ببروز الحداثة والذي

”إن لم اجتماع السوسيولوجيا الذي يبحث في الافتراضات الأخلاقية والسياسية لعلم الاجتماع سيكشف أن انتقاداته للحيف الاجتماعي وللعلل الاجتماعية تلتزم بمرجع الجماعة الليبرالية.“

تعتبر الحداثة فيه افتراضًا وموضوعًا في الآن ذاته، يظلّ أثر فلسفة التاريخ ضمنيا: دائم الحضور لا يخفيها حجاب تمامًا أبدًا. و إن بدا من العسير الإفلات من فلسفة التاريخ والتحرر منها تماما حين دراسة المجتمعات الحديثة، بل إن من الأعسر الرفض المبادئ المعيارية للحداثة كلّيا. ونظرًا لكونه ذاته نتاجًا للحداثة يقرّ علم الاجتماع بالمبادئ المعيارية للذاتية والحرية التي تقوم عليها المجتمعات الحديثة. وتستمر هذه المبادئ في هيكلة نظام العلوم. وأن انخرط علم الاجتماع في دراسة الشروط الاجتماعية المسبقة للفردانية الأخلاقية لا يعني ذلك إنكارا لصحة المبادئ المعيارية بل لادراك مأسستها. وحين يتم إنكار هذه المبادئ في الممارسة العملية يتم تأكيد صحتها في انتقادات الاغتراب والتمييز.

سيكشف علم اجتماع السوسيولوجيا الذي يبحث في الافتراضات الأخلاقية والسياسية لعلم الاجتماع أن انتقاداته للحيف الاجتماعي (التمييز) وللعلل الاجتماعية (الاغتراب) تلتزم أساسًا بمخزون (repertoire) «الجماعاتية الليبرالية». وأحيانا يحيل علم الإجتماع أكثر في اتجاه القطب الجماعاتي للهوية والأصالة. وفي أحيان أُخر في اتجاه القطب الليبرالي للاستقلال الذاتي والعدالة. وحين يكون التخصّص عرضة لهجوم الأنظمة الاستبدادية أو «التقشفية» تطرح أهمّية إعادة التوكيد على مبادئه الأولى – خشية أن يختفي التخصّص نفسه مع العالم الذي كان من المفترض أن يحلله ويدافع عنه. ■

توجّه كل المراسلات إلى فريديريك فاندينبيرغ على البريد الإلكتروني fredericvdbrio@gmail.com

> القومية الدينيّة

والارهاب المناهض للكوزموبوليتانيّة

بقلم **آنا هالافوف**، جامعة ديكن، أستراليا

رسم لآربو، ٢٠٢٣

تشهد القومية الدينيّة صعودا عالمياً متزايداً على النحو الذي تشهده قدرتها على ارتكاب العنف والحاق الأذى-المباشر منه والهيكلي- ب«الآخرين». ويفهم بهؤلاء الآخرين عموما الأقلّيات من البشر والأقلّيات الثقافيّة و الدينيّة و الجندريّة و الجنسانية وكذلك أشكال الحياة غير البشريّة. بينما يجادل في كثير من الأحيان أن الجناة مرتكبي الأذى كثيرا ما يسيئون استخدام الدين، تجادل الدراسات حول «ازدواجية المقدّس» بأن معظم الأديان تنطوي على صفات معينة تنزع إلى لارتكاب العنف وتؤهّب لبناء السلام.

> النتائج المدمرة لسيطرة الإنسان وتزايد الاتجاهات المحافظة

تؤدّي النـزعة الاستثنائية والنـزعة الإقصائية الدينيّة ألا وهو الإحساس بامتلاك الطريقة الصائبة الواحدة والوحيدة، وبلوغ الحقيقة والتفوّق على الآخرين إلى نشوب صراعات حتمية بين الجماعات الدينية وغير الدينية وكذلك إلى نزاعات مع الدّولة ومع فاعلين أُخر. إذ تُبرّر مبادئ «الحرب المقدسة» والشائعة في العديد من المذاهب الدينية العنف حين يعتقدأنّ دين المرء عرضة للتهديد. نلحظ أن العديد من النصوص الدينية

>>

تخصّ النساء و مجتمع الميم بمنزلةٍ أوطأ . كما أدى الاعتقاد بعلويّة الدين على القانون إلى أضرار مدمّرة طالت الأطفال والنساء والأقليات المتنوعة القائمة على الجندر والجنسانيّة. حيث تتألف أبرز الشخصيات الدينية من الرّجال وتؤكد الأيديولوجيات الدينية غالبا على هيمنة الرجل على جميع أشكال الحياة الأخرى.

وعلى الرغم من تنبؤات العلمنة في الحداثة – تراجع سلطة الدين وتأثيره على الدول والمجتمعات – شهدنا في العقود الأخيرة بدلاً من ذلك اتجاها مزعجا يرمي إلى تعزيز التحالفات الدينية المحافظة والسياسية والإعلامية وتثبيتها في أجزاء كثيرة من العالم أودت إلى نتائج وخيمة.

> ردود الفعل عنيفة للارهاب المناهض للكوزموبوليتانيّة

يتمثّل الإطار المفيد لفهم هذه الظاهرة في الصدام. لا أعني صدام الحضارات بل الصدام بين الفاعلين الكوزموبوليتانيين وبين المناهضين للعالمية استنادا إلى أعمال عالم الاجتماع أولريش بيك. Ulrich Beck حيث مثّل منتصف أواخر القرن العشرين لحظة عالمية شهدنا خلالها التقدير العالمي المتزايد لضرورة احترام كل من حقوق الإنسان والبيئة ومسألة التنوع والتي حظيت بالإقرار ضمن الإعلانات والعهود الدوليّة والقوانين والسياسات المحليّة التي تحمي الأقليات والأنواع المتعددة من الأذى. ومع ذلك، لم تكن هذه التطورات تحظى بالقبول عالميًا جرّاء تقويضها لسلطة المحافظين وامتيازاتهم والتي كانت تشمل الجماعات الدينية والمؤسسات مما تسبّب في ردود فعل عنيفة مناهضة للعالمية فاسحة المجال لظهور حركات دينية وقوميات متطرّفة تعرب عن إدانتها لحقوق الأقليات والليبرالية وتندّد بالديمقراطية داعية إلى العودة إلى «قيم الأسرة «المغايرة جنسيًا.

أسوق في هذا السياق مثال استخدامي لعبارة «مكافحة الإرهاب العالمي» لأول مرة سنة ٢٠١٤ في وصفي لهجوم أندرس بريفيك Anders Breivik المروع في النرويج سنة ٢٠١١. استشهد حينها بيانه المناهض للهجرة والمعادي للنسوية بتصريحات معادية للمسلمين أدلى بها قادةٌ سياسيون ودينيون محافظون أستراليون في ذروة الجدل حول القيم الأسترالية. كما كان إطلاق النار المروّع الذي أتاه برينتون تارانت Brenton Tarrant على مسجد في كرايستشيرش Christchurch سنة ٢٠١٩ وبيانه مستوحَيْن أيضًا من بريفيك تغذيها الرؤى المناهضة للهجرة والمناصرة لتفوق البيض وهي رؤى تشكلت في أستراليا وأوروبا.

أمّا في الهند فقد دفعت القومية الهندوسية الاستبدادية لناريندرا مودي Narendra Modi أيضًا إلى تصاعد التحيزات المعادية للمسلمين والمواجهات العنيفة بين مؤيدي ايديولوجيا هندوتفا (إيديولوجية سياسية تشمل التبرير الثقافي للقومية الهندوسية: المترجمة) وبين معارضيه. ولأكثر ما ينذر بالسوء فقد نصّب فلاديمير بوتين Vladimir Putin نفسه زعيما للعالم المحافظ من خلال دعاية إلكترونية غير مسبوقة. نشير إلى قيام نظام بوتين على استثنائية روسية وأرثوذكسية روسية وعلى رؤية خطيرة لإعادة روسيا إلى سابق مجدها العتيد. تجدر الإشارة إلى انخراط كلّ من بوتين والبطريرك كيريل Patriarch Kirill في حرب مقدسة وحشية في أوكرانيا وضد الغرب بنشرهم الكراهية والمعلومات المضللة لزعزعة استقرار الديمقراطيات مقدّمين في الآن ذاته الدعم للقادة المناهضين للعالمية ومساندة الحركات اليمينية المتطرفة حول العالم. لكن يُواجه إرهاب بوتين بشدة من طرف فولوديمير زيلينسكي والشعب الأوكراني وحلفاؤهم بمقاومة النشطاء المناهضين لبوتين والمناهضين للحرب داخل روسيا مثال أليكسي نافالني وأنصاره.

> واجبنا الراهن بوصفنا علماء اجتماع (الدّين)

أعتقد أنّ فهم الدور الذي تلعبه الجهات الفاعلة السياسية والإعلاميّة في قيامها ببروباغندا نشر الارهاب المعادي للعالمية والعنف حول العالم فهمًا أفضل أمر في غاية الأهمّية. وبذات الأهميّة أيضا ندرك نحن بوصفنا علماء إجتماع ونقديين كما نبدو، إلى جانب بناة سلام أكثر تقدمية دينية وغير دينية دورنا في إدانة الارهاب والتصدّي له بقوّة. إذ تتركز اهتمامات علماء الاجتماع البحثيّة في قضايا سوسيولوجية حول العلاقات الإجتماعيّة والمؤسسات التي تحوي مسائل تتعلّق بالتكافئ الإجتماعي والتفاوتات الإجتماعية. ولقد وثق فيض من الأبحاث الاجتماعية على مدى عقود عديدة الأذى الذي تلحقه العنصرية والتمييز بالأقليات موثّقة كذلك أهمية الاندماج والانتماء إلى السلام والرفاه للأفراد و المجتمعات.

لقد ركّز علماء اجتماع الدين اهتماماتهم على توثيق الآثار الوخيمة التي يلحقها التمييز ّبالأقلّيات الدينيّة لكن ظلّوا أقل انخراطًا بشكل مماثل في فضح الأضرار الدينية والروحية ومنع حدوثها والحول دون ارتكابها.

وبالنظر إلى الاعتراف الواسع النطاق بالدعوات إلى الحرية الدينية فقد تحولت في السنوات الأخيرة من درع ضد الكراهية إلى سيفٍ – لا سيما تبرير للاحتفاظ بآراء تمييزية والتعبير عنها –تظلّ جاهزيّة علماء الاجتماع للانتقال إلى جميع أشكال الكراهية والأذى ذات الصلة بالدين أمرا ضروريًا. ■

توجّه كل المراسلات إلى آنا هالافوف على البريد الإلكتروني anna.halafoff@deakin.edu.au

> الوضع الراهن للنظريّة الإجتماعيّة

بقلم **مايكل كارل هادن**، جامعة كوبنهاغن، الدانمارك **وآرثر برونو**، جامعة باسو وجامعة غوته في فرانكفورت، ألمانيا

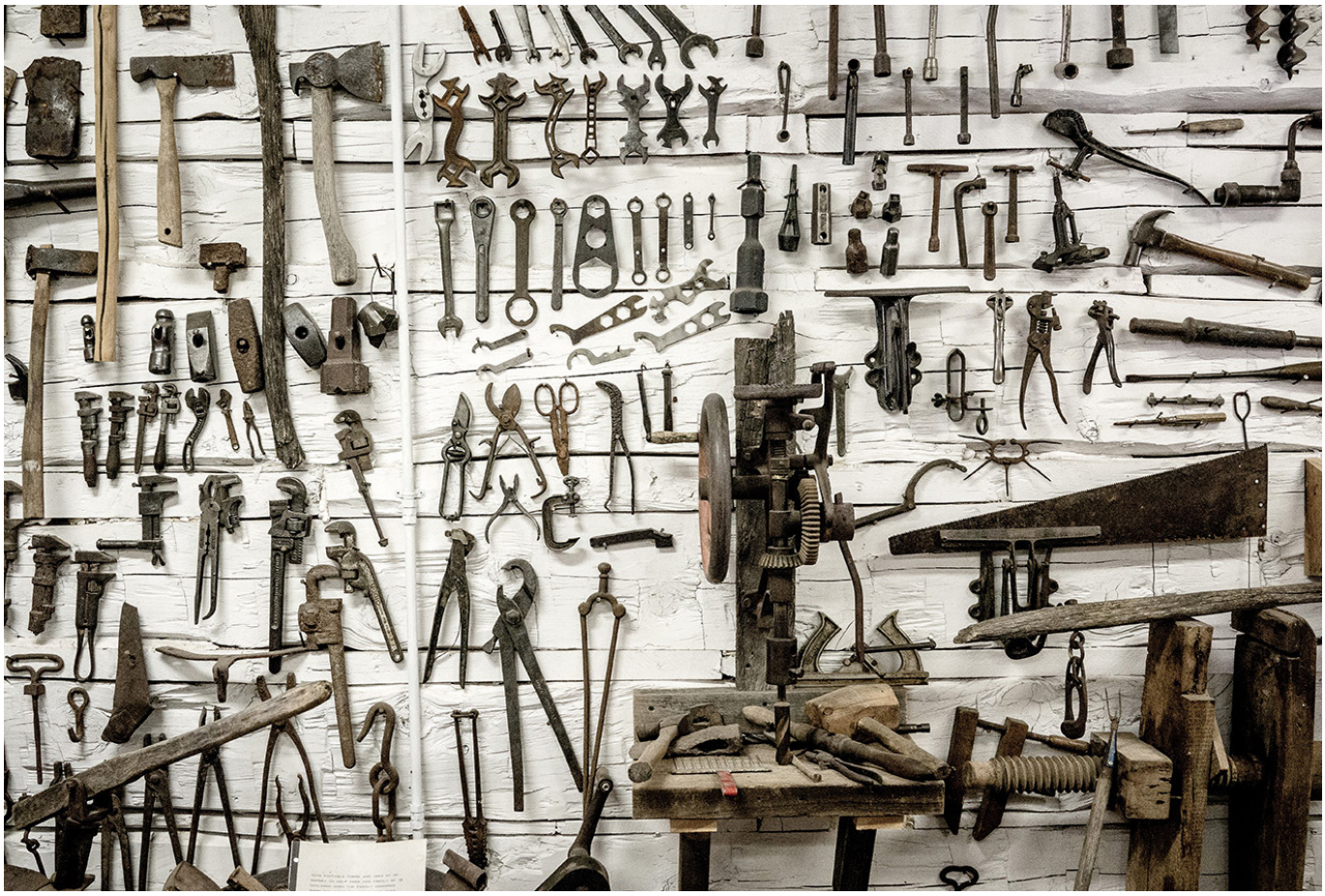

المصدر: "لاكلان دونالد"، Unsplash

«قبل النظرية يأتي التنظير». قد يبدو من البديهي التمييز بين النظرية والتنظير أي بين الناتج النظري والعملية التي أدت إليه. إذ يفتح هذا التمييز في الواقع مجالًا جديدًا تمامًا للبحث. يخامرنا سؤال :ما الذي نقوم به عند وضعنا للنظريات؟، وكيف ينبغي لنا أن نفعل ذلك؟ هل ينطوي ذلك على مهارات خاصة؟ وهل يستدعي ذلك فنًا أم حرفة أم نهجَ تنظير؟ وإن كان كذلك كيف يمكن وضع مفاهيم وتطويره وتدريسه؟ قع يلفت انتباهنا حين طرح هذه الأسئلة مدى ضآلة الاهتمام الذي حظيت به في تاريخ علم الاجتماع.

يكمن الدافع البارز لإثارة مثل هذه الأسئلة في البداية في ضرورة تحويل بوصلة اهتمامنا من النظرية إلى وضع النظريات في سعي إلى انتاج نظرية أقوى وأكثر جرأة. تكمن أسباب غيرها لا محالة لا سيما حالة الانهيار التي تشهدها النظريّة الإجتماعية في علم الإجتماع المعاصر. و هل لا زالت النظرية الإجتماعية بوصفها مهنة أمرا ممكنا؟ و كما يبدو فلم يبلغ «الصيف طويل من النظريات» منتهاه فحسب بل ثمّة تآكل مستمرّ في الرغبة والاستعداد لتطوير نظريات إجتماعيّة ضمن السويولوجيا العالميّة.

فعوضا عن الوقوقف على مجرّد الوقوف على أطلال هذا الوضع ، يجدر بالأحرى التفكير في كيفية حدوثه. يعتبر الوضع الراهن أكثر بروزًا حين التأمّل في الدور المركزي الذي لعبه المنظرون الاجتماعيون الرئيسيون في هذا الإختصاص على مدى القرن العشرين. ومع ذلك، فقد برزت في الواقع خلال الربع الأخير من القرن ذاته اتّجاهات ما فتئت تتكثّف منذ ذلك الحين نذكر منها مثل تجزؤ علم الاجتماع إلى تخصصات فرعية والتركيز المتنامي على البحث الميداني، مع الدور البارز الذي تلعبه الدراسات الكمّية. تميّزت هذه الفترة بالتأكيد أيضًا ببروز جيل جديد من المنظرين الاجتماعيين. ومع ذلك فقد أعرب العديد من أبناء ذلك الجيل عن تحفظات بالغة الأميّة حول أهمية التنظير الأساسي - و تتمثّل الحالة االنموذجيّة في هذا الصددفي برونو لاتور Bruno Latour، المنظر المناهض للنظرية.

ثمّة بالتأكيد أسباب وجيهة وراء هذا التحول. لقد كانت نهاية الصيف

>>

الطويل للنظرية مصحوبة بتعدديّة المناقشات وتباينها في تعاريف التخصص، شملت إيلاء اهتمام أكبر لخصوصيات كل مجال ولمساهمة الممثلين العلمانيين في بناء المعرفة الاجتماعية. علاوة على ذلك، أدى النظر في السياقات المختلفة لإنتاج المعرفة إلى تساؤلات مفيدة حول المبادئ الأساسية للتخصّص وتثمين للمنظورات المحيطية (برونو وآخرون،٢٠٢٢).

إلا أن تلك الاتّجاهات لم تتخذ شكل الجدالات الفكريّة بل حملت معها تغيّرات في البنية المؤسسيّة للتخصّص نفسه. ومع انهيا النظريات الكبرى، تقلّصت الفرص البحثيّةالمتاحة للبحوث المتخصّصة حول المسائل النظرية بشكل مستمرّ.

لقد تآكلت شروط ممارسة النظرية الاجتماعية باعتبارها مهنة - أي كجزء من «العلوم الطبيعية» - تدريجياً. ومن المفارقات قد يعزّز نقد النظرية الكبرى الاتّجاهات ذاتها التي اعتُبرت موضع إشكالية. وقد تغدو النظرية نشاطًا حصريًا للمؤلفين العظام الذين يتمتعون بظروف مؤسسية استثنائية. علاوة على ذلك يكمن الخطر في خلق فجوة يستمرّ تعمقها بين البحث الميداني والنظرية الاجتماعية. في مثل هذه الظروف، يمكن اعتبار فتح المجال لمناقشات حول طرق التنظير بداية جدال واقعي ٢,٠ (الجدال الوضعي ٢,٠).

أعتقد أنه لهذه الأسباب و غيرها تطرح أهمّية مناقشة الوضع الراهن للنظريّة الإجتماعية. إذ لا يكمن الهدف في ذلك إلى العودة إلى الماضي المجيد (والذي لم يصطبغ يوما بالمجد من منطلقات عدّة) بل لكسب مزيد من الإيضاحات حول الطرق و مناهج التنظير المختلفة وأثرها السياسيّة والإجتماعيّة. نتساءل هنا ما الدور الذي ينبغي على النظرية الإجتماعية توخيه في مجال علم الإجتماع؟ وهل ترتبط أساليب التنظير بالتيارات المختلفة ضمن علم الإجتماع والاهتمامات المعرفيّة المختلفة؟ وهل مفاهيم التنظير معيّنة -الضمني إلى حد ما- آخذة في الإختفاء وهل آخذة مفاهيمغيرها في البروز من رحم المفاهيم المهيمنة السابقة؟

وكما سيدرك القارئ لا تقدّم الإسهامات في هذا القسم الخاص إجابات موحدة لمثل هذه الأسئلة التي تتسم بروح التعددية. إذ هي تبحث في الإمكانيات الحالية لإعادة إحياء النظرية الاجتماعية دون اقتراح مجرد العودة إلى أنماط التنظير السابقة ولكن أيضًا دون إهمال تحديات الحاضر. ■

توجّه كل المراسلات إلى مايكل كارل هادن على البريد الإلكتروني mc@soc.ku.dk
وإلى آرثر بوينو على بريده الإلكتروني arthur.bueno@uni-passau.de وعلى حسابه على تويتر: @art_bueno

> دعوة الإبداع

عند التنظير

بقلم **ريتشارد سويدبرغ**، جامعة كورنوال، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

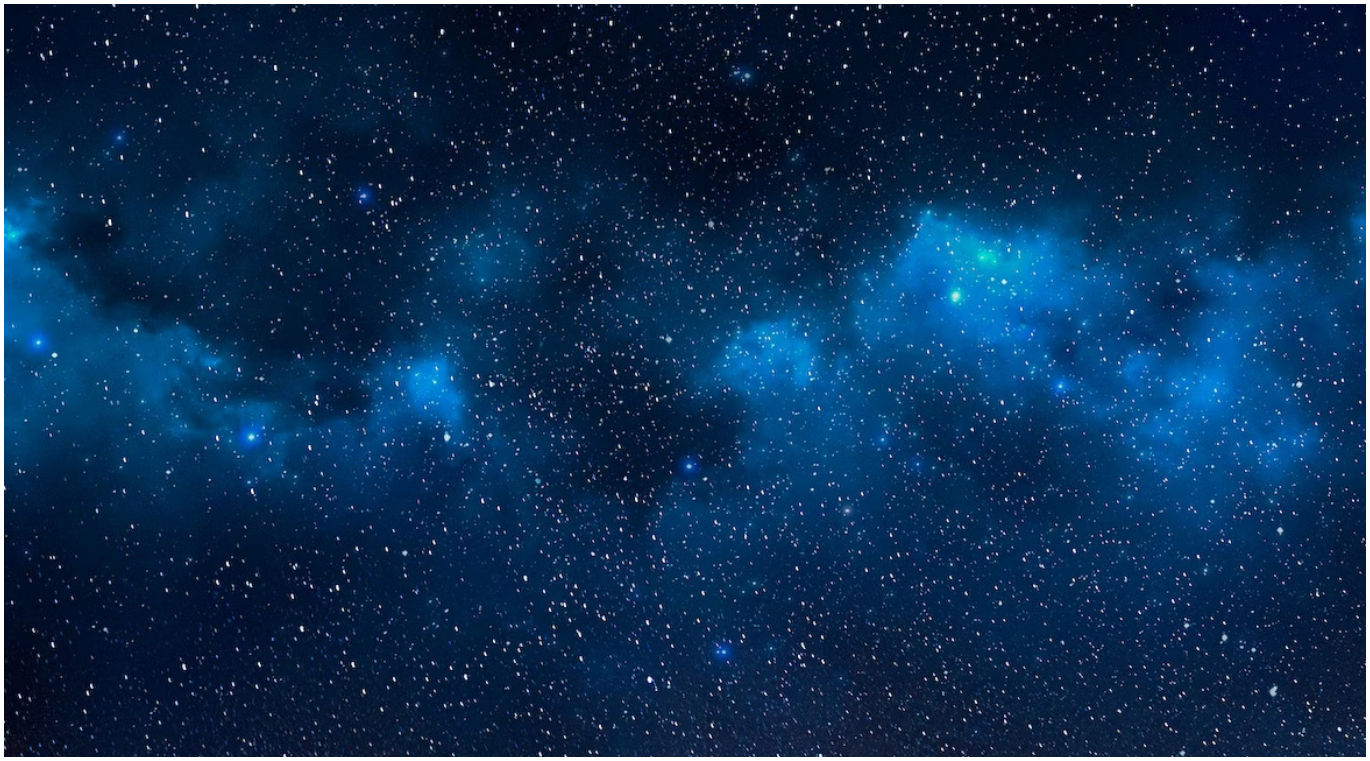

المصدر: "آليكس لانتينج"، Unsplash

من الطبيعيّ أن تمتلك الرغبة في أن يكون تنظيرك أكثر ابداعا لكن هل من الممكن التأثير فيه في هذا الإتّجاه؟ و إن كان كذلك كيف السبيل تحقيق ذلك؟ يتّفق معظمهم على استحالة فعليّة في تقديم وصفة جاهزة لكيفية أن تكون مبدعًا. فكلّ ما يمكنك القيام به مع ذلك، و سيكون الورقة البحثية التالية منصبّة على تناول هذه المسألة- هو إغواء ملكات الإبداع. وهذا يعني أنه يمكنك أن تضع نفسك في موضع قد يخوّل لك النجاح في ابتداع شيء جديد وقيّمٍ.

تكمن الطريقة المثلى لعلماء الإجتماع حتى يبلغوا السبيل لدعوة الإبداع في الغوص في الدراسات السوسيولوجيّة حول الإبداع ومعرفة العوامل التي خلصوا إلى أهميتها حين يتعلّق الأمر بالاكتشاف الفكري والإبداع . لكن ليس الأمر بالسهل كما يبدو لأنّ العوامل التي خُصّت بوصفها بالغة الأهمية ضمن تحليل سوسيولوجيّ ليست في أغلب الأحيان تلك التي يمكن للفرد استخدامها لمصلحته الخاصة. إذ تتباين معرفة كيف، كما بيّنها جيلبرت رايل Gilbert Ryle بوضوح عن معرفة ذلك.

لكن قد تتوفّر طريقة للتأمّل في الدراسات حول الإبداع و تحويل بعض من معرفة ذلك الخاصة بها إلى معرفة كيف. سأطلق على هذه العمليّة الترجمة. تنطوي الطريقة التي سأتوخّاها في فيما يلي أوّلا في تقديم النتائج التي خلصت إليها بعض من الدراسات السوسيولوجية المعروفة حول الإبداع ثمّ محاولة ترجمة ما لديها من معرفة ذلك إلى معرفة كيف.

• دراسة #١: اشتهر روبرت ميرتون Robert Merton بجداله حول إمكانيّة حدوث الإبداع أحيانًا عن طريق الصدفة أو بفضل موهبة اكتشاف الاشياء فجأة، في استخدامي لمصطلح أشاعه ميرتن. ومثلما اكتشف ألكساندر فليمنغ، على سبيل المثال البنسلين، بطريقة عَرَضية. إذ سقط شيء ما في طبق بتري لاحظ فليمنغ أنه قضى على البكتيريا. كما يجادل ميرتن و إلينور باربر Elinor Barber في مؤلّف *الرحلات ومغامرات الصدفة* وجود بيئات معينة يرجّح فيها حدوث المصادفة أكثر من غيرها، ما يسمى بالبيئات الدقيقة المصادفة. يعد مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية في بالو ألتو (الذي ساعد ميرتون في إنشائه) أحد هذه المراكز كما ترفقه جمعية ثانية و هي جمعيّة هارفارد للزملاء.

>>

• دراسة #٢: تعتبر الشبكات من المواضيع الشاعة المخصصة للدراسة البحثية في علم الاجتماع الحديث ؛يمكن الإشارة إلى «الثقوب الهيكلية والأفكار الجيدة» لرونالد بيرت في تحليل الشبكة التقنية للإبداع. إذ تقوم الحجّة الأساسية في هذا المضمار أن الشخص القادر على إعتماد شبكتين، ما يسمى بالوسيط، يتمتّع بوضع جيّد يسنح بحدوث الإبداع. قد تكون مثلا عالم اجتماع لكن كونك في اتصال بأشخاص يحملون في مجال بحثي آخر، كالعلوم المعرفية أو علم الأحياء امر يسنح بالمصادفة في الإبداع.

• دراسة #٣: محاولة تاريخيّة أخرى في كشف أسرار الإبداع بمساعدة تحليل الشبكات يمكن الاطّلاع عليها في مؤلّف فلسفة التاريخ العملاقة لراندال كولنز Randall Collins المعنون *سوسيولوجيا الفلسفات*. *تتمثّل*

تقوم حجّة رندال على فكرة أن الإبداع نتاجٌ لتفاعل القوى على مستويات ثلاثة: ألا وهي مستوى المجتمع ومستوى التنظيم ومستوى الشبكة. ففي حالة عصر التنوير الألماني على سبيل المثال مثّلت الثورة الفرنسية القوة المجتمعية وجامعة برلين التنظيم الرئيس. وكان لشبكة إيمانويل كانط وآخرين هيكل خاص يتألف من زملاء والطلاب وغيرهم. عادة ما تحوي الشبكة الإبداعية على عدة منافذ في البداية لكن في وقت لاحق يغدو الحصول على مكان شاغر صعب المنال.

• دراسة #٤: يتباين الفريق مع الشبكة التي تتّسم بحدود ممتدّة. و يتباين دوره في العلوم الحديثة. نُشرت دراسة مهمة في مجلة الطبيعة سنة ٢٠١٩ عن العلاقة بين عدد العلماء في الفريق وإبداعهم من قبل عالم الاجتماع الحسابي جيمس أ.إيفانز James A. Evans وزملاؤه. خلصوا فيها إلى نتيجة أنّ الفرق ذات العدد الأدنى من الباحثين وكذلك فرادى الأشخاص أفضل في الاكتشافات لمجالات بحثية مظطربة من الفرق ذات الأعداد الكبيرة. ويعني إيفنز بالاكتشافات المظطربة «النظريات القوية والبعيدة الإحتمال تماماً» (تشومسكي). ومع ذلك تتفوّق الفرق الكبيرة في مجال العلوم العادية وأنواع الاكتشافات الطفيفة التي يتوصّل يحدثها الفريق في إطار متابعته لبرنامج بحثي قائم.

> السبيل إلى دعوة الإبداع

كنت قد أشرتُ في بداية هذه الورقة إلى فكرة أنّه إن تعذّر على الباحث تقديم وصفة للابداع فبإمكانه دعوة الابداع. وبيّنتُ تركيز معظم الدراسات حول الابداع على معرفة ذلك بينما تدعو الضرورة إلى التركيز على معرفة كيف. واقترحت حلّا لتجاوز الاشكال من خلال عمليّة أسميتهُا الترجمة، وحان الوقت الآن لتبيان كيفية اشتغال ذلك.

تتمثّل الخطوة الأولى في تحديد أي الأشياء يبدو أنه يدعو إلى الإبداع. تتمثّل تلك في الدراسات التي ذكرناها للتوّ في البيئات الدقيقة المصادفة عند ميرتون والنوع المعين من الشبكات وفق بيرت وكولينز وحجم الفريق العلمي عند إيفانز وآخرون.

أمّا الخطوة التالية فتتمثّل في تحديد ما إذا كنت قادرا على الاستفادة من هذه العوامل وادراك كيفيّة الاستفادة منها لأغراضك الشخصيّة. وحين ادراك ذلك لصالح الدراسات الآنفة الذكر، تخلص إلى النتائج التالية. بامكانك الانضمام إلى بعض البيئات الدقيقة المصادفة وإلى شبكة ابداعيّة أو الانخراط في فريق يبدو واعدا. الأمل هو إن أنت خطوت هذه الخطوة فيشرع عقلك الواعي وغير الواعي بالعمل بأسلوب أبداعيّ.

لكن من الممكن أيضًا دعوة الإبداع من خلال الذهاب إليه بمفردك، على سبيل المثال من خلال الربط بين شبكتين على نحو وسيط بيرت. ثمّة العديد من السبل التي تسنح بالقيام بذلك مثل دراسة ما يعتقده الناس في مجموعة أو تخصّص آخر غير مجموعتك أو تخصّصك والأمل في أن تنتج بعض الومضات تكون نقطة انطلاق لإطلاق أفكار ابداعيّة عندما تتلامس هذه الأفكار مع أفكارك.

صحيح لن نتأكّد أبدا من بلوغ نتائج مثمرة إن نحن قمنا بدعوة الابداع. لكن يتعيّن علينا رسم أهدافنا --حين يتعلّق الأمر بالتنظير- نحو ما هو ابداعيّ ومبتكر. شعارنا في ذلك: أن لم تخض غمار التجربة فلن تستطيع التحليق. فكمال العقل في التجربة. ■

توجّه كل المراسلات إلى ريتشارد سويدبورغ على البريد الإلكتروني rs328@cornell.edu

> أساليب التنظير:

دعوة للتعدّديّة

بقلم **مايكل كارل هادن**، جامعة كوبنهاغن، الدنمارك

عالم الاجتماع هو عالم يجلس على كرسي له ثلاثة أرجل: البحث النوعي، البحث الكمي، والنظرية الاجتماعية. اذا كانت أي من هذه الأرجل في حالة سيئة، قد ينكسر الكرسي، وعالم الاجتماع سوف يقع. المصدر: "تشارلز ديلوفيو" Unsplash

كيف ينبغي علينا فهم العلاقة بين العمل النظري و العمل الميداني؟ فغالبا ما تحدّث عنه علماء الإجتماع كونه مثارَ اشكالية عالية. فالإدعاءات الشبيهة ب«فجوة بالغة العمق» (بارسونس Parsons) و«انفصال» (بليمر Blumer) و«انشقاق مدمّر للغاية» (خواس وكنوبل Joas and Knöbl) أمر شائع. فلمحاولات فهم العلاقة تاريخٌ قديم قِدَم علم الاجتماع ذاته. حيث تحولت المقترحات مع المعتقدات المنهجية المهيمنة. و انطلاقا من مراحل هذا التاريخ ، يبدو توخّي النهج التعددي الطريقة الأفضل. وعليه، تتمثّل إحدى نقاط الانطلاق المحتملة في صورة عالم الاجتماع الذي يجلس على كرسي بثلاث أرجل وهي البحث النوعي والبحث الكمّي والنظرية الاجتماعية. فقد ينكسر المقْعد إن كانت إحدى تلك الأرجل في حالة سيئة وحينها يسقط عالم الإجتماع على الفور.

تدلّ هذه «الأرجل» على التمايز الداخلي لعلم الاجتماع إلى ثلاثة حقول فرعية رئيسية، بينما يدلّ المقعد ككلّ إلى ترابطها. يتم تطوير المهارات والمعارف المختلفة في الحقول الفرعية الثلاثة، والتي تتسم بذات الفائدة المتبادلة. كما يتمّ راهنا مناقشة ضرورة دمج هذه المهارات والمعارف دون فقدان مكاسب التمايز والتخصّص تحت عنوان «النهج المختلط». (اتباع نهج يتضمن مزيجا من الأساليب الكمية والنوعية: المترجمة) ومع ذلك، فإن تركيز هذا العمل هو في المقام الأول ينطوي على العلاقة بين البحث الكمي والنوعي. إذن ماذا عن المحطة الثالثة؟ هل يجب أن نضيفها ببساطة إلى نهج الأساليب المختلطة من أجل تحليل علاقة ثلاثية بدلاً من علاقة ثنائية؟ في هذه المقالة، سأقترح طريقة أخرى للمضي قدمًا.

> كلّنا نأتي بنظريات

ينبني اقتراحي على ملاحظة أن تسبة عريضة من علماء الاجتماع يدّعون راهنا أنهم يأتون التنظير، إلى حدّ ما أو بمعنى آخر. ويبدو أن التنظير مدرج بشكل مباشر في أول حقلين فرعيين(البحث النوعي والبحث الكمّي) بينما ترتبط النظرية الاجتماعية بشكل غير مباشر بالبحث الميداني. كذلك، لا يبدو أن التنظير في الحقلين الفرعيين الأولين - على الأقل ليس في المقام الأول - يعنى بتطبيق النظريات الاجتماعية واختبارها على المحكّ ضمن مفهوم الحقل الفرعي الثالث. إذ يبدو أن الحقول الفرعية الثلاثة تنطوي عادةً على ممارسات تنظير متباينة. وإن صحّ ذلك، تدعو الضرورة لأي محاولة للإجابة على السؤال الذي استهليت به هذه المادّة، يجب أن تأخذ في الاعتبار العلاقات المتعددة بين العمل النظري والميداني. كما يستحقّ فهم التنظير كونه متمايز وفي حاجة إلى التكامل والذي بدونه تُفقد مكاسب التمايز.

> مناهج البحث المفقودة

ينطوي هذا الاقتراح على ضرورة الحديث ليس فقط عن الأساليب

>>

الميدانية ولكن يتوجب كذلك الحديث عن الأساليب النظرية. ثمّ قد نميّز في خطوة أولية بين التحليل المتغيرات والتحليل التفسيري وبين النظرية الاجتماعية. ومع ذلك، غالبًا مايحدث غموض المعنى فيما يقصده علماء الاجتماع حين يزعمون أنهم يقومون بالتنظير والمعنى المخبوء خلف كيفية إجراء ذلك التنظير. بالمقارنة مع الأساليب الميدانية، بيدو من المدهش تأمّل علماء الاجتماع في تقاليد حرفة التنظير أو فنّه - ولا حتى في ادراك المجال الفرعي للنظرية الاجتماعية. وغالبا ما تخلو الكتب المدرسية أو الدورات التدريبية أو المجلات أو أقسام الأساليب أو شبكات البحث حول الأساليب النظرية أو لا تختفي تماما. ولذا، تتميّز الممارسات النظرية «بمعرفة كيف» بدلاً من «معرفة ذلك» (رايل Ryle). وبالتالي، نحن بحاجة إلى توضيح هذه الممارسات من أجلالحول دون الإمبريالية المنهجية والنظرية ونحو تطوير الممارسات المتعددة للتنظير ونعني بذلك مثلا صياغة أساليب التنظير.

بناءً على إعادة بناء الفروقات بين الدلالات النظريّة السبعة وتطويرها والذي وضعها غابريال أبند Gabriel Abend بين سبعة معاني قدّمت في مقال سيصدر قريبا[1] سبع طرائق للتنظير فيما يتعلّق بفروع السوسيولوجيا الثلاثة على النحو المبيّن في ما يلي:

- البحث الكمّي (التحليل المتغيرات):

ت١. التعميم الميداني للوقائع والعلاقات بين المتغيّرات.

ت٢. بناءُ الفرضيّة حول العلاقات السببيّة بين المتغيّرات على مستوى متوسّط المدى.

- البحث الكيفي (التحليل التفسيري):

ت٣. التفسير: و ضع الإطر المفاهيمي لعمليّة بناء المعنى القائمة على السياق (وثيق وكثيف).

- النظريّة الإجتماعيّة:

ت٤. التفسير النظري الاجتماعي.

ت٥. الأنطولوجيا الاجتماعية: وضع تصور السّمات الأساسية للعلاقات الاجتماعية.

ت٦. بناء المعايير والممارسات الإجتماعيّة وإعادة بناءها وتفكيكها.

ت٧. نظريّة المجتمع: وضع تصوّر للمباديء الهيكليّة المكوّنة للمجتمع وتحوّلاتها على مرّ الزمن (المستوى الكلّيّ).

> منهج الملاحظة مقابل منهج الكرسي الأريكة

يستند هذا التمايزفي أساليب التنظير إلى معيارين اثنين وهما نوع العلاقة بين التنظير والملاحظة (مثال المسوح الاستقصائية والمقابلات والدراسات الميدانيّة والتجارب) من ناحية وموضوع التنظير من ناحية أخرى. فحقيقة انخراط التنظير في الحالات الثلاث الأولى بشكل مباشر في البحث الميداني لا يخلّصهم بأي حال من الأحوال من مسألة الربط بين العمل الميداني والعمل النظري. على كلّ أساليب التنظير أن تأخذ بعين الإعتبار كون النظريّة تقوضها البيّنة/الدليل. ما يفصل الطرق الثلاثة الأولى عن الأسلوب الرابع الأخير أنّه لا يمكن أن تحسم المسائل قيد البحث في التنظير الاجتماعي من خلال البحوث الميدانية. إذ تستدعي هذه المسائل أساسا «علم اجتماع الكرسي بذراعين».

ومع ذلك، يجب الالحاح على ضرورة التأكيد على فهم الأساليب الواردة في القائمة كونها أنواعا نقيّة. فغالبًا ما يتكون العمل النظري من مزيج من الأنواع. ويمكن أن تدرك الطريقة الفرضيّة الاستنتاجيّة، على سبيل المثال ، على أنها مزيج من نوع ت١ و نوع ت٢. وغالبًا ما ينطلق التنظير الاجتماعي وفق ت٥ أو ت٦ أو ت٧ من نقطة ت٤. يحتاج تحليل المتغيرات إلى تحليل تفسيري عند التطبيق، ويحتاج التحليل التفسيري إلى تحليل المتغيّرات لتقييم مدى ملائمة نتائجه. كما يحتاج كلا النوعين من التحليل إلى ت٧ لتحديد تأثير المبادئ الهيكلية على موضوع دراستهم، وكذلك الحاجة إلى ت٥ للتفكير في نقاط انطلاقهم الوجودية، وإلى ت٦ للنظر في الحقائق المُشبعة بالقيم الأخلاقية. و في المقابل ،يستوجب التنظير الاجتماعي نتائج البحث الميداني لتجنب فراغ النظرية الاجتماعية البحتة. ومع ذلك ، فإن تمايز علم الاجتماع إلى حقول فرعية يعني أن بعض طرق أساليب التنظير هي السارية في أي مشروع بحثي معين. و غالبا مايتمّ تحقيق أسلوب واحد أو اثنين فقط بطريقة منهجية بينما تكون البقيّة تابعة ويتمّ توخّيها بشكل مرتجل او استبدالها ضمنيًا بتنظير مبني على البديهة. إذ يعتبر التخصص أمرا ذا أهمّية لمهارة التنظير، لكنه يؤكّد في الآن ذاته أهمية التعاون بين الحقول الفرعية.

> الدعوة إلى التعدّدية النظرية

أختتم بجدال أنّ مقترحي يرمي إلى أخذ مفهوم الأساليب المتعدّدة للتنظير كنقطة انطلاق حين ربط العمل النظري بالعمل الميداني. قد يعني هذا أن التنظير في علم الاجتماع لا يتعلق فقط بتطبيق النظرية الاجتماعية واختبارها في البحث الميداني، ولا هو يتعلق باستبدال النظرية الاجتماعية بتحليل المتغيرات أو التحليل التفسيري. لقد كانت كل من هذه المفاهيم على مدى تاريخ علم الاجتماع مفاهيما خاطئة شائعة. وثمّة راهنا عديد الدلائل التي تشير إلى الاتجاه نحو إعادة تأهيل علم الاجتماع الواقع تحت هيمنة تحليل المتغيّرات. وقد نواجه «علمنة» علم الاجتماع على نحو لم نشهده منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. تشكّل هذه المؤشرات الخلفية وراء هذه الدعوة إلى التعددية النظرية. إذ سنسقط نحن علماء الإجتماع حتما إن نحن عجزنا عن صيانة جميع أرجل المقعد الثلاثة التي نجلس عليه. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى مايكل كارل هادن على البريد الإلكتروني mc@soc.ku.dk

[1] سيصدر قريبا. مقال مايكل كارل هادن، *أطلقوا الوحش: توخّي التعدّدية في وضع النظريات.*
Carleheden, M. (forthcoming) “Unchain the beast! Pluralizing the method of theorizing
في ممارسة النظرية الأجتماعيّة . فابيان أنيكر و اندري آرمبراستر (محرّرون): سبرنغر.
in Fabian Anicker and André Armbruster (eds.) *Die Praxis soziologischer Theoriebildung.*
Springer

> لنمارس سوسيولوجيا مستقلّة مفعمة بالحيويّة

بقلم **آنّا إنغستام**، جامعة لوند، السويد

"معضلة الحريش" بقلم كاثرين كراستر (١٨٤١-١٨٧٤): الحريش كان سعيدا جدا/ الى أن قال ضفدع مازحا/ "أرجوك، أي قدم تتبع أي قدم؟"/ أتعبت ذهنها لدرجة/ أنها استلقت مشتتة في حفرة/ معيدة النظر/مفكرة بكيفية الركض. المصدر: "زاك ليزنيوايس" Unplash

« أن كنّا ندرك ما نحن بصدد القيام به لما أسمينا ذلك بحثا. أليس كذلك؟» تُنسب هذه المقولة الشهيرة إلى ألبرت أينشتاين، الذي يجسد دون شك فكرة العبقرية ذاتها. أيا كان من قالها فقد حدّد لزوميّة الحدس وذلك للاستمرار في العمل دون التشكيك المستمر في ما نفعله وللانفتاح على التفكير غير الملتزم والعشوائي والثقة في قدرتك على تحقيق أمر طريف مثير للاهتمام دون تفكير عقلاني واضح واتخاذ القرار. و حين التفكير في الأمر يستعصي ابتكار شيء جديد بأسلوب التفكير النقدي فقط، هل نحن قادرين على ذلك؟ التفكير الإبداعي أمر ضروريّ في انتاج الألغاز والأفكار الأصلية حيث توسيع مجال العقل حتّى يمتلك قدرة متفرّدة على ادراك ما يوجد فينا، بل وأكثر من ذلك: *عليك تخطّى عتبة الإبداع العادي! عليك التفكير مثل عبقري!*

هل سيكون وربرت ميرتن Robert K. Merton أوّل المعترضين؟ لقد أشار ريتشارد سويدبرغ تجسّد هذا التوجه في أعمال ميرتن «كان أول علماء الإجتماع الذي أفرد موضوع التنظير باعتباره مجالاً متميزاً من مجالات المعرفة والدراسة والتعليم». إذْ اعتاد أن يخاطب طَلَبَتَهُ بالقول: «أليس بالأمر الجيّد أن تدركوا ما أنتم تفعلونه». وعلى هذا النحو شدد ميرتون على أهمية اتخاذ قرارات واعية حول كيفية المضي في وضع النظريّات. ويجد سويدبرغ أنّ ذلك يجدي نفعا: «إنه يلفت الانتباه إلى حقيقة الحاجة عند عملية التنظير إلى ايلاء اهتمام دقيق لمجموعة من المسائل التي غالبًا ما تتّخذ أمرًا مفروغًا منه.» من ناحية أخرى، «لا تتواءم الفكرة القائلة بأن [التنظير] لا يحدث بأسلوب خطي ومنطقي» مع فكرة ميرتون حول البحث العلمي المنضبط.

أن نأتي، ب«لغز»، أو شيء ما حول العالم الاجتماعي، بفكرة جديدة غريبة، أو غير عادية، أو غير متوقعة، أو طريفة، «وفكرة ذكية مُتَوَقِّدة الذّكاء تستجيب لذلك اللغز أو تفسره أو تحل شفرته» ذلك هو بالتأكيد جوهر التنظير الاجتماعي الجيد. أندرو آبوت. ولكن لنطرح التساءل التالي: *إلى أيّ مدى ستتسم عقلنة العمليّة الاختراع بالروعة. و هل بالامكان تطوير معرفة كيف من خلال زيادة معرفة ذلك؟* هو القول جدلا أنّ مسألة المَذْهَبُ العَقْلانِيّ والنزعة المعادية للمَذْهَبُ العَقْلانِيّ تحتلّ جوهر وضع نظريات النتظير. أما بحقّ أينشتاين Einstein، فقد حذر من الإفراط في التحليل (انظر المقابلة التي أجراها جورج سيلفستر فيريك سنة ١٩٢٩): «ربما تتذكر قصة الضفدع والحريش؟» (و أن فاتك ذلك فاقرأ القصيدة الجميلة التي كتبتها كاثرين كراستر Katherine Craster من سنة ١٨٧١!) «و قد يشلّ التحليل عملياتنا الذهنيّة والعاطفية بطريقة مماثلة.» يكمن الدرس المستخلص في أنّ التفكير بعناية فيما نقوم به قد يحدث اضطرابا ويكون معطِّلاً ، وبالتالي يؤثّر في الأداء ويؤدي إلى ضعفه. و يمكن أن تدرك قصّة تشارلز ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce المشوّقة سنة ١٩٠٧ حول كيفية استعادته للبضائع المسروقة من خلال تخمينه على النحو ذاته إلى حدّ كبير. تتجلّى الرسالة هنا بوضوح: صع بعضا من الثقة في قدرتك على التخمين الصائب. وذاك ما فعله أنشتاين.

وحين سؤاله حول «مراعاة القفزات المفاجئة إلى الأمام في مجال العلوم» يعزو انشتان في إجابته اكتشافاتِه الخاصّة إلى الحدس والإلهام بقوله: «أحيانًا أشعر أنني على صواب و لأ أدرك أنني كذلك». ومن المثير للاهتمام، أنّ أنشتاين يسد الفجوة القائمة بين الفن والعلم حيث يشير: «أنا فنان بما يكفي لأستفيد بحرية من مخيّلتي.» وكذلك يفعل بيرس بتأكيده على «حاجة العلماء إلى الاقرار بـ «فن البحث» ، الذي يمثّل السمة الإبداعية في صياغة الفرضيات والذي يعكس الجانب الالمنطقي المثير (غيرالضروري) لما يسمى بالتفكير التقديري. *«لا تستدعي الحاجة إلى القفز إ لى الاستنتاجات بل بالأحرى القفز إلى إلى ماذا لو ...؟»! اِسْتَأنَسْ بحدسك! انهل من خيالك!* لدينا الآن قرينة على علاقة العبقرية بالبحث. وسأحاول هنا إعطائكم إجابة كوهينيان كذلك. (نسبة إلى توماس كون في كتابه بنية الثورات العلمية: المترجمة).

كان لثوماس كون في آخر حياته التأمّل في وضع نظريّة للتقطّعات التي

>>

تشهدها الفيزياء إذ يقول: «أنا كانطيّ بفئات منقولة.» دعني اواصل: فكون كانطيّ مع فروقات غير واضحة، كانطيّ يقرّ بأهميّة العبقريّة خارج نطاق الفنون الجميلة، -- كانطيّ متأثّر بنيتشه؟ و سواء كنت على حق أو على خطأ فإنّي أقرأ كتاب *بنية الثورات العلمية* باعتباره البنية الفكرية التعبيرية الرائدة لفهم التحوّلات الاستثنائية في الالتزام في تاريخ العلوم على النحو المبيّن من خلال السجلات التاريخية للأنشطة البحثية حيث يستند كون Kuhn على كتابات Kant حول العبقرية والفن في مؤلّفه *نقد ملكة الحكم Kritik der Urteilskraft* (١٧٩٠). يخبرنا كانط في الفقرتين ٤٦ و ٥٠. ما يجعل من الباحث عبقريًا. كما يؤكّد على أنّ العبقريّة أسلوب فنّ وخلق. هكذا أفهمه إذ يعني أنّ العبقريّ يستخرج كنهَ الأمور فينتج أويصمّم قطعة فنّية تخصّصيّة – مثل نموذج- تستحق حياة إنسان. وبشكل أكثر تحديدًا يسمو العبقري وبتفكيره السابر إلى ما وراء المفاهيم الراسخة من خلال تشكيل مجموعة متنوعة من الحدس في تركيبة تثير في الآخرين و في *العبقريّ نفسه* فكرة غير سارية حتى الآن. أجيز القول أنّ العبقريّ يحوّل التفكير غير الرسمي إلى أشكال فيصل إلى الابداع ويؤثر في الآخرين من خلال رجع الصدى باعتباره طفل المستقبل.

يتمّ استحضار العبقريّ من هذا المنظور باعتباره العقل المدبّر *Vordenker* الذي يكسر الجليدحين ينتابك الحرج الحقيقي الذي سببته لك الحالات الشاذة الخطيرة وذلك العبقريّ الذي تبعث صياغاته روحا جديدية في الفنّ وفي العلوم وكل ما بينهما. غاي صابر[1]! لا يقلّل كون Kuhn من قيمة الجماعة العلميّة لكن يجادل في صفحة ١٢٢:١٩٦٢: ارتهان «نور الحدس الذي يقذف في الصدر «والذي ينبثق من خلاله نموذج / بارادايم جديد «إلى الخبرة غير المألوفة والمتطابقة على حد سواء، و التي تمّ اكتسابها إضافة إلى النموذج القديم» (أكتبها بخط مائل) أي من خلال الانخراط في العلوم الطبيعية. لكن «الضوء الساطع للوميض «الذي «يغمر» لغزًا كان قد بدا غامضًا سابقًا، مما يتيح رؤية مكوناته بطريقة جديدة تسمح لأول مرة بحل شفرته»، قد يتم حجبه أو تجاهله في حالة شدّة انضباط البحث بحيث لا يمكن تأجيل الشرح أو تفسير. هنا يكمن السبب الرئيسي الذي يجعلنا نحن الباحثين ، لا تستدعي الحاجة إلى اعتبار التقليد *مصفوفة تخصصية (كون). كيف لا؟ أن تقرّ»بفن النظرية الاجتماعية»* (سويدبرغ)! *وكن أنت نفسك فنّانا بما فيه الكفاية! فالأمر أن هو أنك تغدو قادرا على التفكير كعبقري، حتى و إن لم تكن كذلك.* فالعبقرية مسألة اعتقاد، لا مسألة أسلوب تفكير. و إن لم تستنبط شيئًا من حدسك – و تحوّل التفكير العشوائي غير الصوري إلى أشكال - من الصعب معرفة ابتغائك يشيء أو عدمه. وقد يكون القيام بدراسة مسبقة تتّسم بالعشوائية (سويدبرغ) بداية جيدة. *تأجيل الجهود الرامية إلى حلّ اللغز!*

فكون نفسه يثبت غاي صابر. ليس للتسلية فقط إذ يمكن تصوير حكاية *بنية الثورات العلمية* كدراما إغريقيّة كلاسيكيّة ويعني : الغطرسة (التشكيك في فلسفة العلوم)، *والحيوية* (الانتقادات التي دفعته إلى التوضيح)، *والتطهير* («تأملات في نقادي» وغيرها من النصوص). ماذا فعل عند البدء؟ *إذ كان ينحني بأفكاره عند التفكير.* من الجيّد أحيانا الانحناء في أسلوب تفكيرنا «*فمَلأى السنابل تنحني*» وذاك يعني *المرونة مسبقا!*

فن	العلم
موقف لعوب	الموقف المنهجي
براعة	اختصاص
حدس	العقلانية
تفكير غير رسمي	تفكير رسمي
هيبولوجي (Hypological)	منطقي
منافق	شديد الأهمية
غير مبالي	حذر
مرن	صارم
مفتوح لإمكانيات عدة	موجهة نحو الهدف
متشعب	متقاربة
تفكير مسبق (Preflexivity)	الانعكاسية

سعيتُ في هذا المقال تقديم فكرة التفكير المرن والمنحني وهو مفهوم أقوم باستحداثه. فماذا أعني إذن بالانحناء في طريقة التفكير وكيف يمكن الاستفادة من هذا الابتكارالأخرق؟ فللشرطة الواصلة تأثير بالغ. حيث يتحوّل لفظٌ أخرقٌ فجأة إلى مصطلح غير مفهوم ألا وهو المرونة في أسلوب التفكير مسبقا. وإن كنتم على دراية بمعنى السابقة في اللغة فأنتم تعرفون بالتأكيد معنى ما قبل. أما الانحناء من ناحيته فهو وحدة لغويّة شبيهة بالوحدة اللغوية اللاتينيّة ثني- ويعني انحنى وهو مشتقّ من فعل فريكبيري وتعني «انحنى». وفقًا لذلك، تعني كلمة *قبل الانثناء*، بمعنى آخر، قبل فعل الانحناء وقبل *حالة الانحناء*. أودّ أن أقترح هنا مصطلح قبل الانحناء على عكس الانعكاسيّة وهو ما أتصوره بالتالي في وصفي لأفعال الانحناء ثانية. وعليه، يُفهم مفهوم الانحناء (الانعكاسيّة وقبل الانحناء) باعتباره نقيضا لمجرد السير على امتداد الطريق دون انصياع، وبشكل أكثر تحديدًا الحالة الطبيعية للمضي قدمًا باتباع مسار محدّد لا حياد عنه. يعادل هذا من منظور كون، محاولة حل مشكلة تم اقتراحها بالفعل بنفس الطريقة التي حل بها العقل المدبّر (*Vordenker*) مشكلة مماثلة أي دون ابتكار «فكرة متّقدة الذكاء تستجيب أو تفسر أو تحل [لغزا حقيقيا] و تكشف عين خباياه «بطريقة إبداعية. وفي اعتقادي، يكتب «كوهن» عن مفهوم قبل الانحناء دون تسمية الظاهرة. ومن ثمّ ضرورة توضيح الفرق بين قبل الانحناء والانعكاسيّة في ضوء تمييزكون بين الحدس والتفسيرات أي مقارنةً بالتفكير التأملي، يقوم التفكير قبل الانحنائي على الحدس لدرجة أن شيئًا ما مثل حدوث *تبادل للشكل gestalt switch* مفاجئ وغير المنظم (إعادة الإثارة). وبناءً على ذلك، يعدّ قبل الانتحناء مركز النظرية الكُونية في العلوم والانجازات العلمية. ■

توجّه كل المراسلات إلى آنّا إلينا إنغستام على البريد الإلكتروني

anna_helena.engstam@soc.lu.se

[1] هي فرقة فولكلورية إيطالية تركز على تقاليد الموسيقى والرقص في أوسيتانيا الإيطالية. تستمد غاي صابر اسمها من أكاديمية الشعر الأوسيتانية في العصور الوسطى والتي تعود جذورها إلى ثقافة التروبادور المؤثرة في المنطقة. وهو أيضًا أصل كتاب نيتشه عن الشعر. المترجمة

> بعد النظريّة الكبرى:

العمل الميداني في الفلسفة

بقلم **نورا هامالين**، جامعة هلسينكي و تورو كيمو لاهتونن، جامعة تامبيري، فنلندا

المصدر: "نيل"، Unsplash

إنّه لأمر مألوف حدوث شيء قيّم جدير بالذكر «للنظرية الاجتماعية» في العقود الأخيرة. لكن ، تتباين الآراء حول حقيقة ما حدث وكيفية ضرورة تقييم الوضع.

من «النظرية الكبرى» في منتصف القرن إلى «دراسات» نهاية القرن

لقد كان صدى تذمّر أنصار «النظرية» عاليا وهم يندبون كيف استولت أطياف من الدراسات الميدانية التي لا تعد ولا تحصى على العلوم الاجتماعية واكتسحتها لتصبح مغمورة ترفقها طموحات طفيفة للاسهام والاستفاضة في البحث في مواضيع أكثر عمومية وعزّلٌ من القدرة على توفير البحث بأدوات أو منظورات موضوعية جديدة. يتناقض هذا الوضع مع الطفرة الإبداعية في النظرية الاجتماعية في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية لا سيما الفترة الممتدّة من الستينيات حتى الثمانينيات والتي مثّلت ذروة «النظرية الكبرى››. فتميّزت هذه الفترة في علم الاجتماع الأوروبي بمناقشات جذلة تم فيها تشكيل مدارس فكرية مختلفة غالبًا تتمركز في مواجهة بعضها البعض. تحدّت منذئذ أشكال مختلفة من الماركسية بشكل بارز التقليد «الليبرالي» لعلم الاجتماع (الأمريكي). إذ تم تبادل نيكلاس لومان Niklas Luhmann ويورجن هابرماس Jürgen Habermas الحجج المؤثرة والمتباينة حول نظرية الاتصالات أو النظم.

أطلق مفكرون مثال أنتوني جيدينز Anthony Giddens وبيير بورديو Pierre Bourdieu برامج بحثية جديدة تهدف إلى إيجاد أرضية مشتركة بين «الممثلين» و «الهياكل» سعيًا إلى التأكيد على دور «الممارسة». كما أُحيطت حتى النقاشات الفلسفية بأتباع ضمن علم الاجتماع الأوروبي مثل الكتابات حول «ما بعد الحداثة» التي كتبها جان فرانسوا ليوتارد Jean-Francois Lyotard أو جان بودريلار Jean Baudrillard وبشكل أكثر ديمومة، دراسات ميشيل فوكو للسلطة والمعرفة في التشكيل التاريخي للأشكال الغربية للذات.

حدث التحول مهمّ في أواخر الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي شهد توحيد المجالات متعددة التخصصات لمختلف «الدراسات» ألا وهي الدراسات الثقافية، والدراسات الحضرية والدراسات الجندريّة ودراسات ما بعد الاستعمار، ودراسات العلوم والتكنولوجيا، ومؤخراً ، الدراسات الكويرية. ودراسات حول النبذ/التخلّص. ورغم استخدام البحوث الواسع في تلك المجالات غالبًا للتنظير من العقود السابقة كان اسلوب استخدام الأجهزة المفاهيمية أمرا مستحدثا. حيث كان العمل الاجتماعي مختلطًا بعلم الأنثروبولوجيا والفلسفة والتاريخ والأدب، وكانت موضوعات البحث موجهة نحو الموضوعات الميدانية التي اتسمت بالتعددية المنهجية والتنوع النظري بدلاً من سعيها إلى إنتاج تعميمات واسعة. فكانت تلك التعددية قابلة للابتكارات المفاهيمية و حاضنة لها فيما يتعلق بالبحث الميداني بما في ذلك الاهتمام المتزايد بمسائل المكانية والزمانية والتجسيد والجوهر وممارسات الرعاية والأشكال المعرفية للظلم وما إلى ذلك.

ومع ذلك، فبعض من هذه التطوّرات تتناسب مع فكرة النظرية الاجتماعية الكبرى. إذ باءت الجهود المفاهيمية الطموحة والحداثة النظرية في أن تلفت اهتمام معاصرينا بالفشل. و تركّزت معظم البحوث في أقسام علم الاجتماع حول «العلوم الطبيعية» الكونية التي تتمثّل في الأساليب والموضوعات الراسخة نسبيًا. أمّا بشأن التصورات ثمّة طيف واسع من المسارات الممكن اتّباعها والتي تعتبر كلّها مشروعة. ولا يبدو أن علم الاجتماع نفسه يتوقع أن تضخّ الحياة فيه من جديد من خلال التنظير رفيع المستوى الذي تحول ، كغاية في حد ذاته، إلى هواية هامشية.

> الفعالية النّظرية للممارسة الحية

نتساءل هل هذه إذن نهاية النظريّة الاجتماعية؟ يبدو هذا في تقديري استنتاج خاطيء. أودّ في هذا السياق لفت الانتباه إلى الطرق التي يكون فيها التفكير النظري حيًا وبصحة جيدة في المجالات التي يواجه فيها العمل الاجتماعي أنواعًا مختلفة من « الدراسات.» عوضا عن التّلهّف على الموقف لمجرد أن التنظير لا يبدو أو يشعر راهنا بالأسلوب التي كان عليه في وقت سابق. علاوة على ذلك أقترح وضع إسمً أو تضنيف لهذه الطريقة في التنقل بين مختلف الموروثات الفكرية ألا وهو *العمل الميداني في الفلسفة*.

«العمل الميداني في الفلسفة» عبارة صاغها الفيلسوف جيه إل أوستن J. L. Austin للتأكيد على ضرورة التعرف على استخدام اللغة العادية لتجاوز التضليل الذي تسبّبه أسئلة التعميم في الفلسفة. ثمّ تناول بيير بورديو المصطلح لاحقًا حيث استفاد منه حين التفكير في كيفية تحويل نشاط الفيلسوف إلى موضوع للدراسة الاجتماعية. بعدها استخدم بول رابينوف Paul Rabinow من ناحيته، التسمية بمعنى أقرب إلى تصوّرنا: إذ توصّل رابينوف إلى ايجاد طرائق الفلسفية النظرية لطرح التساؤلات المفيدة في معالجة الحقائق المعاصرة المعقدة في المواقع الملموسة.

ينطوي القاسم المشترك لدى المفكرين الذين يتناسب عملهم مع تسمية «العمل الميداني في الفلسفة» في الطريقة التي يعتبر بها ايلاء الاهتمام إلى الممارسة الحية (اللغوية والمؤسسية، إلخ...) أمرا فعالا من الناحية النظرية في حدّ ذاتها. وبدلاً من تطبيق نظرية «كبيرة» (تفسيرية) على العالم الذي يتناولونه بالدرس فإنهم يميلون إلى السماح للواقع الاجتماعي بتعليمهم كيفية التبصّر في كُنْهِ ذلك العالم، بما يمكن وصفه بأنه نهج تمهيديّ مُوجّهٌ مع ذلك نحو تحقيق نتائج هامة من الناحية النظرية.

> الخصائص المميّزة لحقل بحثيّ واسع

توحي العبارة «العمل الميداني في الفلسفة» بعمق الصلة بشكل خاصّ بين الفلسفة والممارسة الأنثروبولوجيّة. إلّا أنّها في اعتقادي تشرح بوضوح وعلى نحو جيّد النبرة التي تجري فيها البحوث السوسيولوجيّة راهنا. وهكذا وعوض العثور على مؤلفي النظريات «الكبرى» في قائمة مراجع العديد من المنشورات الحالية، يقث الباحث أمام أنواع معيّنة من العلماء - أولئك الذين يتفلسفون بناءً على المواد الميدانية والبيانات القائمة تاريخيًا. لا ينطبق هذا التوصيف فقط على أعمال مجموعة من الفلاسفة مثل ميشيل فوكو، وبرونو لاتور، وإيان هاكينج ، ودونا هارواي، وأنيماري مول، ولكن أيضًا على علماء الأنثروبولوجيا مثل آنا تسينج، ومارلين ستراثرن، وإدواردو كو، وتيم إنجولد، الذين تؤثر كتاباتهم بشكل خاص على علماء الاجتماع الذين يعملون عند تقاطعات «دراسات» مختلفة وأشكال بحث نوعيّ أكثر كلاسيكية. أشير هنا إلى وجود أربع خصائص مميزة لفئة واسعة من العمل الميداني في الفلسفة.

١. يركّز هذا العمل على موقع خاص للحياة البشريّة والأنشطة في ظلّ قيود زمنية مكانية مميزة عوضا عن المباديء الكونيّة المحتملة. نقيس في هذا المجال مثالا. تشمل مثل هذه المواقع السّياقات المؤسسيّة حيث تعزيز الفهم الحديث للاحتمالات كما هي عليه في كتاب يان هاكينغ Ian Hacking - *The Taming of Chance ذو تامين أوف تشانس* (تحقّق هذه الدراسة الجديدة في رموز بعض الأنماط المميزة للفكر المعاصر أصول وتطوّرها.)

٢. يعني الادراك النظريّ للعمل الميداني في الفلسفة ضمنا الارتباط بوصف ما يحدث في موقع معين ، مع الاقتناع بأن لهذا الوصف مدلولات ومضامين نظرية وفلسفية. ومن الأمثلة على ذلك دراسة مول Mol الإثنوغرافية لسنة ٢٠٠٣ في مستشفى جامعي في هولندا والتي تدّعي أنّها تتناول «الفلسفة التجريبية».

٣. ينطوي العمل الميداني في الفلسفة العمل المفاهيمي حول كل من المفاهيم المستخدمة من قبل الأشخاص في المواقع التي تمت دراستها وتلك المفاهيم التي تم وضعها من أجل شرح ما يجري في المواقع. لذلك لم يكتف ميشيل فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة ولادة سجن *Discipline and Punish* بالتعبير عن «الفئات الأعضاء» في الخطاب الذي يلعب دوره في نشوء أشكال جديدة للذاتية في السجون، والمستشفيات والمدارس، والجيش في فرنسا خلال القرن التاسع عشر،بل طوّرأدوات مفاهيمية جديدة لتنظيم النتائج التي توصّل إليها. وهنا يكمن دور المفاهيم الشهيرة التي وضعها مثل «ميكروفيزيائيّة القوّة» والتي، ونظرًا لتجذرها في الموقع الموصوف المحدّد، لا يُقصد بها تناوُلها ي»النظرية الكبرى» البتّة، حتى و أن كان بإمكانها فعليًا التنقّل إلى مواقع أخرى و إن أثبتت أنّها مفيدة في بعض المواقع وأَجْدَت نفعا في بحوث جدّ مختلفة يجريها علماء آخرون.

٤.وأخيرا أشير هنا إلى أنّ العديد من الدراسات وليس كلّها ،و التي تشترك في الإدراك الذي نسميه العمل الميداني في الفلسفة تتناول في بحوثها القضايا الأنطولوجيّة وتلك هي تركيبةالواقع. يُعد كتاب برونو لاتور Latour بعنوان *Aramis or the Love of Technology* مثالاً جيدًا. إذْ كان الشرح التجريبي ذا جدوى أثناء دراسة لاتور المدققة - لظهور مشروع تكنولوجي وسقوطه- في معالجة ماهية العمل الجماعي البشري - الجمعي - من منظور وجودي.

فبدلاً من ترك انطباع في البحث اللاحق يتّخذ شكل نظرية يمكن «تطبيقها» من أعلى إلى أسفل، يترك البحث الذي يتقاسم ادراك العمل الميداني في الفلسفة أثرَ أساليب البحث والأدوات المفاهيمية التي يمكنها، بقدر الاستفادة منها وتطبيقها في مواقع جديدة مع تعديلها حسب الاحتياجات الجديدة. بعبارة أخرى تدعو الادراك النظري التي يمثله مؤلفون مثال فوكو ولاتور ومول أيضًا إلى الارتجال المفاهيمي والمنهجي الذي يتواخاه الباحثون الشبّان لملاءمة موصات بحث جديدة وكلّ الاشكالات الجديدة التي يطرحها الباحثون في مجال الدراسة. وعليه ، لا يقع تطور النظرية أساسا في سجل «النظرية الاجتماعية» ولكن أثناء العمل الجاري في الموقع. ■

توجّه كل المراسلات على البريد الإلكتروني إلى
نورا هامالين، nora.hamalainen@helsinki.fi
وتورو كيمو لاهتونن، turo-kimmo.lehtonen@tuni.fi

> النّظريّة و (نهاية) الممارسة الإجتماعيّة

بقلم **آرثر بوينو**، جامعة باساو وجامعة غوته، فرانكفورت، ألمانيا

المصدر: "تصوير الصبيان في بريستول"، "بيكسالز"

لتقت بعض الاتجاهات الأكثر تأثيرًا في علم الاجتماع المعاصر حول مفهوم الممارسة السوسيولوجيّة (شوتسكي وآخرون ٢٠٠٠). لا تكمن الطرافة بكلّ تأكيد في التركيز على هذا الموضوع ذاته. إذ لعب هذا المفهوم دورا محوريًا في النقاشات الطويلة الأمد حول الفاعلية والبنية التي ميزت علم الاجتماع في منتصف القرن العشرين، ليشمل بالفعل تحولًا عن المدلول الذي تنطوي عليه «التطبيقات العملية» في الماركسية. فعوضا عن الإشارة إلى أشكال العمل الثوري التي يتوجّب على البروليتاريا القيام بها، اعتبر المنظرون مثل بورديو Bourdieu وغيدنز Giddens الممارسة الإجتماعيّة والفعل الاجتماعي و تولّده بمصطلحات أكثر تواضعًا من الناحية السياسية ولكن أيضًا بعيدة المدى. لكن ظلّت الممارسة في الحقل السوسيولوجي في مفترق طرق إعادة الإنتاج الاجتماعي والتحوّل الاجتماعي ولم تستلزم الإطاحة الراديكالية بالنظام الرأسمالي بل كانت عملية يومية مستمرة داخل المجتمع لاستيعاب البنى الاجتماعية كما إضفاء الطابع الخارجي عليها .

ومع ذلك، اعتبر الجيل القادم من علماء الاجتماع أن مثل هذه الأساليب تصور الممارسة بمصطلحات ضيقة للغاية. يميل تحليل الأفعال في اعتقادهم باعتبارها تفعيلات غير انعكاسيّة في الغالب للبنى الاجتماعية إلى تهميش الفاعلية وتبنّي رؤية للأفراد «مفرطة التكامل» (آرتشر ١٩٨٢) ويعاملون على أنّهم كائنات مخدوعة في النهاية على وأن الفاعلين غالبا ما يوصفون ك«كائنات مخدوعة ثقافيًا» (بولتانسكي، ٢٠١١ Boltanski). غير واعية بأشكال الهيمنة التي تمارس ضدّها. كما انطوى التحليل على انعدام تناسق معرفي رئيس، حيث تقع على كاهل عالم الاجتماع مهمة الكشف عن الحقائق البنيويّة التي يعجز السكان الأصليون على تحديدها. أبرز مؤلفون مثل لاتور Latour وبولتانسكي Boltanski مقابل مثل هذه الرؤية القدرة التي يملكها غير البشر والقدرات الانعكاسية للبشر مشدّدين على الاستفادة منهم والانخراط في إجراء مناقشات معهم عوضا عن احضار التنوير من الخارج وما فوق. الأمر الذي دعا إلى وضع مفهوم الهيكل ذاته محلّ استفهام. إذ عجزت فئات مثل «المجتمع» أو «الرأسمالية» والتي كان من المفترض أن تميط اللثام عن المنطق الخفي للممارسات الاجتماعية في الواقع على توضيح القليل أي اقتصرت على توفير لقد وفرت على المرء ببساطة عناء اتباع طرق اتّصال الفاعلين ببعضهم البعض و على نحو فعّال من موقف إلى آخر.

> مفارقة الممارسة الاجتماعية

تم فَهم هذه الخطوة إلى حد كبير باعتبارها توجّها جديدا لإرساء الديمقراطية. فبرفضها لمفاهيم الممارسة السابقة طوّرت السوسيولجيات الجديدة أيضًا سياسة جديدة من المفترض بشكل جذري أن تنطلق من الأسفل إلى القمّة . في الواقع ، لا يمكن لأحد أن ينكر أن هذه النهج أخذت الفاعلين على محمل الجد أكثر من سابقاتها؟ ومن يمكنه الاعتراض على الاقرار بقدرات الفاعلين النشطة والانعكاسيّة أو على موازنة علاقات القوة بين المحلل والمواضيع التي تمّ تحليليها؟

ومع ذلك، قد يشكّل تتبّع الأطراف الفاعلة تجربة مزعجة. لاحظنا منذ الثمانينيات وخاصة خلال العقدين الماضيين تضاعف التذمّرات حول مدى قيمة ديمقراطياتنا. إذ بلغ تركيز السلطة وتكديس الثروة إلى مستويات بالغة لدرجة إدّعاء شانسل Chancel وبيكيتي Piketty في مقال في مقال نُشِر مؤخراً أن: «اتّساع فجوة التفاوتات داخل الرأسمالية النيوكولونياليّة في أوائل القرن الحادي والعشرين اتساعا مماثل لمستويات الفجوة التي اتّسمت بها الرأسمالية الاستعمارية في أوائل القرن العشرين». ناهيك عن

>>

موضوع التغير المناخي الذي تأخر حلّه مع كل قمة دولية جديدة رغم الإجماع الواسع على أسبابه. وأن حدث مشكل هنا -أو هناك كانت هناك مشكلة هنا - وكانت موجودة - فلا يعني القول إنها ترقى إلى غياب الانعكاسية!

وهكذا يبدو أن فئة الممارسة عالقة في مفارقة. فكلما تمّ التّأكيد على تضاعف القدرات والقدرات الانعكاسية للجهات الفاعلة ، كلما بدت لنا مواجهة عالم يصم آذانًا صاغية لمطالبنا ، ويعيق جهودنا لتغييره، ويرمي بنا في ظروف محفوفة بالمخاطر (حيث غدا كلّ جيل جديد من علماء الاجتماع أكثر وعيًا وادراكا بحياتهم الخاصّة بهم). ولئن ليس بالتأكيد نتاجًا لمنظرين اجتماعيين يعملون ضمن حدود التخصّص، إلّا أنّه يدعو إلى التأمّل في الآثار السياسية لمفاهيمنا عن الممارسة الإجتماعيّة. وكيف لا نعتبر أننا في نهاية المطاف، نتعامل مع أنظمة أو هياكل قوية؟ وكيف لنا نكران أن مثل هذه الحقائق التي قمنا نحن بارسائها تتوفّر بمنطق نجهله؟ ومن له القدرة، بشكل انعكاسي ، أن يطلب المزيد من الشيء ذاته ؟

> منطق الأشياء

يبدو أننا ننقاد، عبثا إلى بُنَانَا الاجتماعية ــ واستقلاليتها البائنة، وآلياتها المستترة، ودوافعها اللاواعية. ومع ذلك، ستكون مجرد إعادة صياغة البديل النظري بين الفاعلية والبنية، والدفاع عن إحداهما ضد الأخرى، بمثابة خطوة خاطئة. لأن معارضتها لا تتّصل بـ «أشياء المنطق» بل بـ «منطق الأشياء». إذ لا تكمن الفجوة المتكررة بين الفاعلية والبنيةكونها مجرد خطأ معرفي بل هي نتاج لأساليب عمل الواقع الاجتماعي ذاته. وهذا بالتحديد ما يسنح لنا بالاتفاق مع الطرفين. إذ هي تتجاوز مجرد امتلاك القدرة على النشاط، والانعكاسية، والديناميكية، والتعدّد، بل هي الأسلوب الذي بتمّ حضّنا على توخّيه. ولكن ما يظلّ أمرا مُبْهَما في الوقت في ذات الوقت مواجهتنا لعالم بالغ الغرابة بل ومعادياً لمثل هذه القدرات. ومن المفارقة أن يطلب منّا مرارا وتكرارا بصنع تاريخنا بأنفسنا، يدفعنا إلى فقدان القدرة على القيام بذلك. وتغدو سلبيين من خلال نشاطنا الخاص. نحن إذن انعكاسيون و مخدوعون.

أطلق ماركس لهذا المنطق الغريب إسم التميمة Fetishism وسمّاه لوكاتش Lukacs «التَشيُّؤ» «reification». هل يتوجّب علينا التعمّق أكثر في التاريخ و العودة مجدّدا إلى المفاهيم التي وضعاها حول البراكسيس؟ بلى، ولكن ليس بنفس الأسلوب. من الضروري على أية حال، الابقاء على جانب واحد: فالممارسة في الأساس وفق هذا التقليد، شيء واجب تحقيقه. لا ينطوي هذا الجانب ببساطة على الاستعاب المستمر للبنى الاجتماعية وابرازها أيًا كانت النتيجة؛ كما أنه لا يشير إلى تأكيد القدرات الفاعلية المقدمة مسبقًا. تدرك، بل تدرك هذه القدرات عوضا عن ذلك على أنها إمكانات تتعرّض تحقيقها للاعاقة أو التعطيل في ظل الظروف الحالية. لذا تحول امكانيّة حلّ مسألة الانقسام بين الفاعلية والبنية نظريًا، من خلال التخلي عن أحد المفاهيم. بتوجّب هما تجاوزها في الواقع نفسه، في «منطق الأشياء» ذاته. فالممارسة هنا والنضال والتحول الجمعي، والتحرر كلّها مصطلحات مترادفة. فالوساطة بين الفاعلية والبنية ليست بالأمر الممكن وصفه فحسب، بل واجب الإنجاز سياسيًا.

> اللّاَفاعِلِيَّة والسلطة

إن تبني هذا المفهوم لا يعني التخلي تمامًا عن السمات التي أبرزتها سوسيولوجيات الممارسة الاجتماعيّة الحديثة. بل بالأحرى يقود المرء إلى تصورها بشكل مختلف. يمكن بالتأكيد أن يؤدّي العجز في الاعتراف بالقدرات النشطة للجهات الفاعلة إلى العجز المفروض ذاتيا أمام «المنظومة» السائدة على نحو ثابت. و على حدّ تعبير لاتور Latour ذات مرة عن فكرة الرأسمالية: «إن تماديت في الفشل دون تغيير ممكن، فهذا لا يعني أنك تواجه وحشًا لا يقهر، بل يعني أنك ترغب، وتستمتع، وتحب أن يهزمك وحش». ومع ذلك، فإن إنكار وجود عمليات نظامية تحوّلنا (جزئيًا) إلى مخدوعين يقودنا إلى نفس الحالة ولكن عبر مسار مختلف. و إن قلنا ورددّنا كنا في كل مرّة تعرّضنا إلى مواجهة تنطوي على عوائق نظامية، أنّ للنشاط منفذ، و للمقاومة منفذ، للممارسة طريق مفتوح، فسينتهي بنا الأمر بالتأكيد إلى تذليل قيمة هذه المفاهيم ذاتها. حيث تغدو أقّل قيمة ووأضعف سياسيًا أكثر من أي وقت مضى: إذ كلما قلت نسبة طلبنا، قلّت نسبة ما نبلغة، وقل قدرتنا على السؤال في المرّة القادمة.

وسواء بافتراض وجود نظام قوي أو بإنكار وجوده، ينتهي الأمر بالشخص إلى موقف العجز والشعور بالهزيمة. لا تكمن المشكلة في مفاهيم البنية أو الفاعلية في حد ذاتها، بل في حقيقة التعامل معها fبوصفها كيانات ثابتة يعني أنّه يتم تقديم أحدهما كما هو الحال دائمًا، والآخر كشيءدون تأثير يذكر. يكمن دور الممارسةالاجتماعيّة العمليّة/البراكسيس في المقابل تحديدا في الاقرار بهذا التباين والتعبير عنه وتحويله.

وكما جادلت في مواقف أخرى تحدث اللحظة الحاسمة في مسار الحركات التحرّريّة مع الاقرار أنه على الرغم من كل بروز للنشاط الفردي، فإن المرء يخضع لمنطق بنيوي خارج عن سيطرته لا يمكنه احتواؤه. وفي مقابل فكرة الفاعلية المقدّمة مسبقًا، فإننا ونحن دون تأثير بارز نقبل أن نكون «تروسًا سلبية داخل الآلة». لكن لا يتوجّب أن تتوقّف العملية عند هذا الحد. وبدلاً من أن يؤدي الاقرار بضعف أجسادنا في مواجهة المنطق البنيوي إلى الشعور بالهزيمة، يبرز هذا الاقرار القوة المادية لهذه الأجسام على وجه التحديد --و التي لا مجال لوجود هذا المنطق دونها. وبإعادة صياغة ماركس: في أساس الهيمنة النظامية (رأس المال) تكمن القوة الحية (العمل الحيّ/كمّية الجهد و الوقت) للبشر وغير البشر إذ ليس لقيمة استعمالية ما أو شيء نافع ما، من قيمة إلا أن ثمة عملاً بشرياً مجرداً قد تشيّأ أو تجسد فيها. يمكن بمجرد الاقرار بهذه السلطة وتنظيمها ذاتيًا، موازنتها مقابل البنى القائمة، وتمكين البنى الجديدة. ويعود الفعل ثانية إلى البروز. ولكن هذه المرّة لم يعد يبرز كفعل يقوم به فاعل اجتماعي منعزل، بل كتعبير عن قوة حية جماعية ترتكز على أوضاع مشتركة من الضعف والوهن. لا أن يرتهن نشاطنا بإدراكنا بسلبيتنا. حينها تغدو الممارسة الإجتماعيّة غاية على وجه التحديد لأن المرء يقرّ بامكانيّة نهايتها.

توجّه كل المراسلات إلى آرثر بوينو
على البريد الإلكتروني arthur.bueno@uni-passau.de
وعلى حسابه على تويتر @art_bueno

المراجع:

Archer, M. (1982) "Morphogenesis Versus Structuration: On Combining .Structure and Action." *British Journal of Sociology* 33(4): 455–83
Boltanski, L. (2011) *On Critique: A Sociology of Emancipation. Cambridge:* Polity Press
Schatzki, T.R., Knorr Cetina, K., von Savigny, E. (eds.) (2000) *The Practice Turn in Contemporary Theory*. London: Routledge

> وضع نظرية اجتماعية مناهضة للاستعمار

بقلم **سوجاتا بيتال** أستاذة متقاعدة، جامعة حيدرأباد، الهند وأستاذة زائرة **كيرستن هيسلغرين** ٢٠٢١، جامعة أوميا، السويد

ستمدّ نظرية اجتماعية مناهضة للاستعمار منهجها من الإدراك النقدي للفكر المناهض للاستعمار الذي نما وتمدّد حول العالم من خلال الحركات الإجتماعيّة المناهضة للاستعمار. يقوم الفكر المناهض للاستعمار وبأساليب مختلفة، تشكيل التسلسلات الهرمية والسيطرة/الهيمنة في الأقاليم المستعمرة وهو بالتالي تحليل سوسيولوجي أولي لأدوار المجموعات «الأصلية» والمقاومتها ومكافحتها ضد الاستعمار. وللقيام بذلك، يحدّد الفكر المعادي للاستعمار طريقة للنيل من التصوّرات و المباديء والافتراضات التي تُطبّع الهيمنة الاستعمارية داخل المستعمرات وتقوم بتأريخ الطريقة التي تطوّرت بها هذه المعرفة المسيطرة/المهيمنة في البلدان المستعمرة. كذلك، يفترض الفكر المعادي للاستعمار أن الاستعمار ليس إلّا حدّا فاصلا و نقطة تحول تاريخية ومؤشّرا على الاستغلال الرأسمالي للشعوب وللمناطق والأقاليم، وعليه، فهو ينطلق في سعيه إلى تطوير نظرية معرفية جديدة حتّى يتسنّى ادراك الحداثة المعاصرة التي حدّدها الاستعمار/الإمبريالية.

يعدّ تطوير النظريّة الإجتماعيّة القائمة على الفكر المعادي للاستعمار ظاهرة جديدة إذ دفعت العلوم الاجتماعية ولفترة طويلة، بالمناقشات حول الاستعمار/الإمبريالية نحو الهامش. ومع ذلك، ومنذ أواخر سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن الماضي، ومع بدء استبدال تسمية «النظريات الاجتماعية» بشكل متزايد بعلامة غيرها - «النظرية الاجتماعية» - برزت منظورات متعلقة بالنظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار. لقد شهدنا هذا التغيير إثر انهيار المنظور الوضعي لعلم الاجتماع في أواخر القرن التاسع عشر والتي كانت تقوم بتقييم أوجه الاتساق، وإجراء تحليلات شبيهة بالقانون، و تستخدم نماذج متغيرة قائمة على الانهيار لادراك «الاجتماعي». اختلفت المناظير حينها، فبينما قام بعض العلماء بتطبيق علم التأويل أو التحليل التفسيري والبنائي، جنح آخرون إلى اقتراح الحاجة إلى تأريخ التخصّص لادراك ما إذا كانت الكلاسيكيات الاجتماعية وشرائعها ذات صلة بفهم الحداثات الجديدة التي تشكلت داخل أوروبا أو خارجها.

> الأنطولوجيات والمنهجيات المبتكرة لتعويض منطق الهيمنة واستدلاله

وبالتالي، يمكن اعتبار النظرية الاجتماعية على أنها تأملات فلسفية ذات أسس اجتماعية حول النظريات الفوقية التي تستكشف مراسيها الأنطولوجية المعرفية. حيث أدت هذه الصياغة للنظرية الاجتماعية إلى القبول ب»المعياري» في علم الاجتماع (تشيرنيلو ورازا). أود في هذا السياق التاكيد على أن النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار تشكّل واحدة من هذه الاتجاهات المعيارية التي تستدعي العلاقة بين المعرفة ومجالاتها ومراسيها الرأسمالية والاستعمارية/الإمبريالية. إذ كانت المعرفة معنية بتأكيد السلطة. إنه تدخل منهجي يفضح استخدام الأشكال المسيطرة/المهيمنة من المنطق والاستدلال أثناء عمليّة البحث عن أنطولوجيا أصليّة تدرك أساليب مبتكرة للمعرفة والتفكير. ولأن النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار تحدد الفكر المسيطر/المهيمن باعتباره مرتبطا ارتباطا وثيقا بعمليات الاستعمار الرأسمالي الاستغلالية والإقصائية للتفاوتات داخل العالم، فهي تقدم لنا نهجا جديدا لممارسة العلوم الاجتماعية. وهي منهجية تنظر كيفية ادراك سياسة بناء المعرفة بدلاً من تفصيل ماهيتها. و نتيجة لذلك، تتحرّى سوسيولوجياً اللاوعي الميداني والنظري و«اللاوعي العلمي» الذي ينظم المجالات/التخصصات لتقديم بديل جديد (روتزو، Rutzou).

بالنظر وضع الاستعمار لبصماته في مناطق مختلفة بدءا من القرن السادس عشر مما أدى إلى تطوّر النضالات السياسية المناهضة للاستعمار في فضاءات وأماكن مختلفة، فقد كانت هناك الإصدارات العديدة من الفكر السوسيولوجي الأوّلي المناهض للاستعمار، والنظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار. تتمثّل هذه المواقف المنهجية المختلفة في علم اجتماع السّكان الأصليين، والانتماء إلى الشعوب الأصليّة، ومنهجية الشعوب الأصلية (أتال؛ أكيووو؛ سميث)، ونموّ المتغيّرات الداخليّة والفكر المحلّي، والانفتاح (هونتوندجي)، علم الاجتماع المستقل والقائم بذاته (العطاس)، ونظرية التّابع، والقومية الثانويّة المشتقة، والاختلاف الاستعماري (Guha، Chatterjee)، والحداثة الاستعماري (بارلو؛ باتيل)، والاستعمار الداخلي (مارتن)، وكولونياليّة السلطة (كويجانو)، والتفكير الحدودي وفك الارتباط (مينولو)، والنظرية الجنوبية (كونيل، دي سوزا سانتوس)، وعلم الاجتماع المترابط (بهامبرا)، وعلم اجتماع ما بعدالكولونياليّة (غو). لا مندوحة إذن تمتّع هذه المواقف المتباينة بسِماتٍ فريدة متميّزة ، لكنها تشير أيضًا إلى ضرورة وجود قاسم مشترك بينها. أقترح في هذا المجال انتماء هذه المقاربات إلى نظرية اجتماعية مناهضة للاستعمار باعتبارها منظورًا أنطولوجيًا معرفيًا بوصفه قاسما مشتركا.

> تحديد نقطة البداية

لا تفترض النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمارمنهجيات لتفكيك المواقف المسيطِرة/المهيمِنة عبر مختلف المناطق الجغرافية فحسب، بل تحدّد أيضًا خطوات لإعادة بنائها معتمدة نهجا جديدة ومبتكرة في سياق التقسيمات العالمية للمعرفة. وهي تعدّ استراتيجية لعرض أساليب لتفكيك التدفقات المؤسسية لتداول المعرفة وإعادة إنتاجها. تساعد المناقشات حول النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار على إعادة صياغة المجال المجزأ للنظرية الاجتماعية العالمية من خلال التأكيد على غياب أيّ اشارة إلى إغلاق الاختلافات للمجال. تؤكد المناظير المذكورة أعلاه بدلًا من ذلك وصورها الرمزية المختلفة افتراضًا منهجيًا مفاده ارتباط معرفة «الاجتماعي» أيديولوجيًا بعمليات الرأسمالية الاستعمارية وتمثيلها لسياقات داخل المساحات الزمنية الاستعمارية كما ظهرت كمنظورات

>>

«تضع النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار أيضًا خطوات لإعادة بناء المواقف المهيمنة بطرق جديدة في سياق التقسيمات العالمية للمعرفة»

عالمية مسيطرة /مهيمنة. يؤكد هؤلاء على ضرورة لعب نظريات العلوم الاجتماعية المعاصرة لدور الوساطة والفلترة من خلال نظرية سياسات إنتاج المعرفة وادراك الجغرافيا السياسية الاستعمارية/الإمبريالية كشرط أساسي لتقييم نظرية سياسات إنتاج المعرفة والحداثة.

أعتقد أن نقدا معاصرا لنزعة المركزيّة الأوروبيّة يعدّ نقطة انطلاق نحو بناء أنطولوجيا من منظور معادي للاستعمار. دفع هذا بالعلماء إلى ابتكار أساليب جديدة لدراسة سياسات السلطة/المعرفة ألا وهي ونموّ المتغيّرات الداخليّة في حالة بولان هونتوندجي Paulin Hountondji والتفكيك البنيوي للأرشيف في حالة راناجيت غها Ranajit Guha و الأتْريخ الماركسي للاستعمار. هذا يعني، أولاً، الاقرار بمعادلة القوة داخل الثنائي ال «أنا» و «الآخر» المركز على أوروبا. إذ تحدّد الأدبيات المعادية للاستعمار طرقا للاطاحة بهذا وايجاد تعبير إبيستيمولوجي حديث لتحديد ال «أنا». لقد دفع في حالة أنيبال كويانو Aníbal Quijano أنيبال كويانو. وقد نتج عن هذه البحث تحليل أثر السلطة المستعمرة على تشطكيل التسلسلات الهرمية ضمن الأراضي المستعمرة. نلاحظ ذلك في تمييز راناجيت غها بين النخبة القومية والتابعين، وفهم كويانو للاستغلال الذي يتم تنظيمه من حيث الطبقة والعرق. ثانيًا، تدافع هذه المناظير عن مجانبة النظرية الخطية للزمن/التاريخ ونظرياتها حول نظرية التطور. فمع الاستعمار، ثمّة من يجادل حدوث فجوة معرفية تنطلق منها بداية التاريخ. وبالتالي، تقيّم معظم نظريات الحداثة المناهضة للاستعمار المنصوص عليها داخل المناطق المستعمرة الروابط المكانية الاستعمارية/الإمبريالية التي تنظم تدفقات السلع والأفكار والأيديولوجيات ومجالات المعرفة بين الميتروبوليتات دول شبه هامشية و البلدان على هامش النظام العالمي.

> دراسة خصائص المركزية الأوروبية

وبشكل أكثر تحديدًا، تستخدم النظرية الاجتماعية المعاصرة المناهضة للاستعمار مجموعة من الاستراتيجيات المنهجية التي تتراوح بين البنيوية، وما بعد البنيوية، والتفكيك مع نظرية التبعية، وتحليل النظام العالمي، وعلم الاجتماع التاريخي الماركسي النقدي للتساؤل حول سمات المركزية الأوروبية. وبالتالي، فقد جادلت النظريّة وبأشكال مختلفة بأن العلوم الاجتماعية المهيمنة/المهيمنة (أ) هي علوم عنصريّة فيما يتعلّق بابرازها لتفوق التجربة الأوروبية للحداثة، (ب) علوم تروّج للأنماط التاريخية والثقافية الأوروبية للحداثة و تضفي عليها صفة العالمية وبالتالي تعزز إنتاج مسارات التبعية، (ج) وتقوم أحيانا بإعادة بناء التاريخ غير الأوروبي جزئيًا وأحيانًا طمسه لإعادة إنتاجه من خلال الثنائيات التي تشمل العنصرية والطائفية والجندرية وغيرها من فئات التسلسل الهرمي، (د) تخلق انقسامات وتنشؤ تخوما وحدودا وعوائق بين العلوم الاجتماعية، و(هـ) تعزيز المنهج الاستشراقي في النظر إلى العالم غير الأوروبي.

تؤكد النظرية الاجتماعية المناهضة للاستعمار على ضرورة رسم خريطة للسياق والزمان والمكان سعيا إلى تنظيم اشكالات البحث وأساليبه وفهم العمليات والآليات والأحداث التي تؤثر في العمل وفي الفاعلين في العوالم المستعمَرة والمستعمِرة. إذ تسنح هذه النظرية الاجتماعية على دراسة كيفية بناء نظريات موضوعية حول الحداثة، وتأكيد أهميتها، والتحقيق في البيانات الميدانية، وتطبيقها في إجراء الدراسات الميدانية. بامكان النظريّة الإجتماعيّة المناهضة للاستعمار بوصفها بحثا في الافتراضات الفلسفية لعلم الاجتماع أن تغدو دعامة لعلم الاجتماع العالمي المعاصر. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى سوجاتا بيتال على البريد الإلكتروني
patel.sujata09@gmail.com

> المرأة في تطوير النظرية الاجتماعية

خارج نطاق الشريعة الإجتماعية

بقلم **لونا ريبارو كامبس**، جامعة ولاية كامبيناس، البرازيل، **وفيرونيكا توست دافلون**، جامعة فلومينينسي الفيدرالية في ريو دي جانيرو، البرازيل

المصدر: صور مونتاج ل"فيتوريا جونزالس" ٢٠٢٣

سنة ١٨٣٨ دافعت هاريت مارتينو Harriet Martineau عن فكرة إنشاء قواعد لإنتاج «التعميمات الآمنة» حول المجتمعات و القيا بأكثر من مجرّد الملاحظة. وقبل ماياهز ستة عقود من صدور كتاب إميل دوركهايم *قواعد المنهج الاجتماعي*، جلبت مارتينو منظورا مبكّرا ونشرت كتابها بعنوان *كيفية مراقبة الأخلاق والآداب*، وهو عمل نفيس رائع وثّقت فيه التحدّيات المعرفية التي ينطوي عليها إنتاج المعرفة حول البشر والعلاقات المتبادلة بينهم.

تصوّر مارتينو اللإجتماعيَّ بوصفه مجالا تترابط فيه المؤسسات الإجتماعيّة، والحياة المادّية، والرموز، والمشاعر، والأجساد، والعوامل الدّيمغرافية ارتباطا وثيقا. ومثل سلفهاماري ولستونكرافت، Mary Wollstonecraft كانت مارتينو تعي بأن المةاقف الأخلاقية للسكّان والأخلاق المحليّة والسياسة «عمليًا متلازمتان»، وأنّ العالم لا يقوم بتقسيم المجالين العام والخاص إلا لأغراض تحليلية. وإجمالا، كانت مارتينو مُنظِّرة أدركت الأساس الجندري للحياة الاجتماعية وطوّرت منهجية لدراسة الحياة الإجتماعيّة.

في السنوات التي أعقبت وفاتها طوى النسيان مارتينو ورائدات أخريات. نذكر منهنّ فلورا تريستان Flora Tristan و آنا دجوليا كوبر Anna Julia Cooper و ماريان فيبر Marianne Weber و بياتريس بوتر فيب، Beatrice Potter Webb ودجاين آدام Jane Addams وشالوت بيركينز جيلمان Charlotte Perkins Gilman وأليكساندرا كومونتاي. كما تمّ تجاهل اسهامات المرأة من خارج السياق الأنجلو-أوروبّي في المناقشات العامّة و في مجال النشر خلال القرن التاسع عشر وسقطت في غياهب النسيان و في حالة الكاتبة الهندية باندیتا راماباي Pandita Ramabai والكاتبة الجنوب أفريقية أوليف شرايز Olive Schreiner أبرز مثال على ذلك.

لقد عزّزت هؤلاء النساء اسهاماتهنّ في مجالات متعدّدة و تميّزت في مساراتهنّ بدرجة عالية من التنوّع. حيث انخرطت بعضهنّ بعمق في بناء علم الاجتماع، وبينما لم تكن أخريات مهتمات بالضرورة بتأسيس تخصّص علمي، إلّا أنّهنّ اسهمن في انتاج رؤى واثراء فكر سوسيولوجيّ ندرك اليوم أنّها مساهمات في الفكر الإجتماعيّ.. مع كل اختلافاتهم، هؤلاء النساء أن تاريخ علم الاجتماع ليس خطيًا، بل يتّسم بأصول متعددة وتنوع مواضيعي وجغرافي يفوت درجة إدراكنا عادةً.

لقد تمّت عمليّة مأسسة علم الاجتماع وإضفاء الطابع الذكوري عليه جنبًا إلى جنب. أدت النزاعات الأكاديمية والسياسية التي منحت كارل ماركس وإميل دوركايم وماكس فيبر مكانة الكلاسيكيين إلى محو الوجود النسائي في بناء العلوم الاجتماعية وتكميم أصوات المصادر غير الأوروبية. ونتيجة لذلك، تمّ تهميش العديد من مجالات البحث حول الجندر، مما قيّد الخيال السوسيولوجي. وكما أوضحت دوروثي سميث Dorothy Smith، فإن العالم اليومي يمثل إشكالية مفتوحة للبحث الاجتماعي. وعليهلا تمثّل المواضيع المهملة مثل الأسرة والزواج والحياة الجنسية والإنجاب مجرد قضايا خاصة بل تعدّ مسائل ذات أهمية اجتماعية.

> المواضيع الرئيسيّة التي تناولتها المرأة في مجال علم الاجتماع

ونتيجة لعدم الاعتراف بوجود المرأة في مجال علم الاجتماع الكلاسيكي بشكل منهجي، مثّل تحديد اسهاماتهنّ تحدّيا دائما. وما فتئ الجهل بأعمالهنّ وندرة الاصدارات والترجمات الجديدة إضافة إلى افتقار البحوث القائمة على مناظير نقدية حول هذا الموضوع يغذّي السرديّة القائلة بغياب نساء يفكّرن في المجتمع وفي جوانب الحياة الإجتماعيّة في القرن التاسع عشر. كان لهذا التغاضي عن اسهامات المرأة في تاريخ علم الإجتماع و تدريسه أثرفي تحديد المفاهيم الرئيسة وفي وضع النظريات والمناهج المعتمدة في مجال هذا التخصّص.

نقيس في هذا المضمار مثال التحليل التي أجرته فلورا تريستان Flora Tristan المفكّرة الفرنسية من أصول بيورفيّة في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر و الذي تعلّق بخصائص الطبقة العاملة النسائية و الظروف التي كانت تواجهنها داخل الأسرة وبيئات العمل. ويحقّ القول هنا استخدامها لمنهجيّة ملاحظة المشاركين في دراستها للطبقة العاملة الإنجليزية والتي نشرتها قيب بضع سنوات من نشر فريديريك أنجلز Friedrich Engels لكتابه. كما أدركت تريستان ميف أن العلاقات المبنيّة

>>

على الاضطهاد لم تكن قائمة على الأجهزة القانونيّة فقط بل كانت متجسّدة في البنى والمؤسّسات اليوميةّ من قبل العائلة والكنيسة.

أمّا باندیتا راماباي Pandita Ramabai فقد ألّفت بدورها العديد من الاعمال التي سجّلت فيها التعقيدات في حالة الحياة التي تتخبّط فيها الهندياتعند تقاطع الدين والطبقة و التفاوتات و الاستعمار. حيث نظّرت باندیتا حول العلاقة الحميميّة بين الطبقات وأشكال زواج الأقارب وطقسيّة الحياة اليوميّة وبين السيطرة على المرأة. كما قدّمت راماباي توضيحا للآليات التي ترتبط بها الطبقات في ممارسات مثال المهر والتعامل مع الأرامل أو حتّى قتل الإناث. وأماط كتابها اللثام عن السمات الجندرية للفئات الاجتماعية وإقامة الحدود.

كما كان كتاب تشارلوت بيركنز جيلمان مقروءا على نطاق واسع بحلول نهاية القرن التاسع عشر. لقد كانت بيكينز عضوة منتسبة للجمعيّة الأمريكيّة لعلم الإجتماع ووجّهت انتقادات لمسألة تقديس الأمومة والحياة المنزليّة للإناث. و قد سعت في عملها جاهدة إلى تأريخ العائلة والمنزل محدّدة الإجتماعيّ بوصفه شبكة مكثّفة من العلاقات بين العائلة والدولة والسوق يشكّل هيكلا متكافل بدرجة عالية.

أما الألمانية ماريان ويبر، ففي رصيدها تسعة كتب وعشرات المقالات تناولت فيها بالنقاش موضوعات مثل القانون والأسرة والأمومة واستقلاليّة الإناث والهيمنة البطريركية. قامت فيبر بمقارنة الترتيبات القانونية للزواج في مختلف المجتمعات بطريقة مماثلة للمقاربة المنهجية في السوسيولوجيا التاريخية. ودافعت مقابل الاستكانة في الزواج على مبدا بناء علاقات الشراكة ودعت لاجرا اصلاحات قانونية كسبيل يضمن خصوصيّة المرأة.

وخلال الفترة ذاتها، كانت المفكّرة والباحثة الجنوب أفريقيّة أوليف شراينر Olive Schreiner من الأصوات البارزة الناشطة في المناقشات حول إمكانية إنشاء دولة جنوب إفريقية. لقد كانت شراينر تحمل منظورا انتقاديا للأعمال الاستعمارية البريطانية في أراضي جنوب إفريقيا وعلا صوتها منددّة بالمبادرات الإمبريالية التي كانت تستغل الثروة المعدنية والسكان الأصليين. وكانت تمتلك نظرة ثاقبة حول التناقضات ذات الصلة بتكوين الدولة وعلاقتها بالأمة والأرض والعرق والجندر.

وأخيرا، وفي بداية القرن العشرين دوّت انتقادات أرشيليا نوغيرا كوبرا Ercília Nogueira Cobra للأخلاق الجنسيّة في البرازيل بتأمّلها في مسألة الجنسانية والسبل المتوخّاة في الرقابة على جسد المرأة. وأوضحت أرتشيلا في أعمالها الارتباط الوثيق بين قواعد الشرف- اشتراط محافظة البنت على عذريتها قبل الزواج—وحرمان المرأة من حقوقها المدنيّة. وهكذا أوضحت كيفيّة تأثير المنظومة القانونيّة في العلاقات الإجتماعيّة مبرزة كيف تمثّل السيطرة على الجنسانيّة أساسا لتكريس علاقات القوّة.

خلال أخذ هذه النصوص النسائية على محمل الجد، نسعى إلى الاستفادة التحليلية من فئة النوع الاجتماعي، التي تُفهم على أنها عامل أساسي في الحياة الاجتماعية. والفكرة هي أن نتساءل عما إذا كانت النظريات التي تنتجها هؤلاء النساء تساعدنا على إعادة التفكير في مفاهيم مثل النظام، والعمل، والتغيير الاجتماعي، وكذلك العمل، والسلطة، والتضامن، وعدم المساواة.

تسعى بتناولنا لنصوص أولئك النساء الباحثات المفكّرات تناولا جدّيًا إلى الاستفادة التحليليّة للفئة الجنسانية، والتي تفهم كعامل أساسي في الحياة الاجتماعية. حيث تكمن الفكرة الرئيسيّة في التساؤل حول قدرة النظريّات التي وضعتها تلك النساء المفكّرات على سنح الفرص بالتفكير ثانية في مفاهيم من قبيل النظام و الفعلو التغيّر الإجتماعي إضافة إلى مفهوم العمل و القوّة و التضامن و التفاوتات.

> التحدّيات المعاصرة حين التفكير في المبادئ

ثمّة جدل قائم في السوسيولوجيا المعاصرة حول وضعيّة الشريعة السوسيولوجيّة. يجادل المؤلّفون مثال راوين كونّيل وباتريسا هيل كومّينز Raewyn Connell وPatricia Hill Collins بأنّ فكرة القانون في حدّ ذاتها ليست قابلة للاستدامة في مواجهة علم اجتماع عالمي ومتزايد التعقيد. ورغم ذلك الجدال الدائر تستمرّ جماعة السوسسيولوجيين العالمية اعتمادها على مؤلّفين وكتّاب كلاسيكيين لأغراضالتأهيل المهني.

وتظلّ عمليات إعداد شرائع جديدة وقديمة و تشكيلها في حراك دائم غم إرادتنا. يتمّ تقديم ما يعتبر «نظريّة كبرى» عادة كونه توليف أوحلّ لتجاوز التناقضات التي تشقّ السوسيولوجيا الكلاسيكيّة . و نتيجة لذلك تحافظ النظريّة الكلاسيكيّة والمعاصرة على علاقة أساسيّة تبدو أبعد ما يكون عن نهايتها.

يرتهن الانصراف عن التفكير في الجندر كونه مجالًا فرعيًا أو حتى مجالًا مكتفيًا بذاته وادماجه في صلب علم الاجتماع، على إدراج الكاتبات والباحثات في دائرة علم الاجتماع الكلاسيكي، و التعامل معهنّ على أساس مرجعيات وتضمينهنّ ضمن الكتب المدرسية. نشهد في السنوات الأخيرة، اتخاذ مبادرات ممتازة، مثل تناول أعمال كلّ من عمل باتريشيا مادو لينجرمان، وجيل نيبروج برانتلي، وكيت ريد، وماري جو ديجان، ولين ماكدونالد. ومع ذلك، فمن غير المجدي الاستمرار في إعادة إنتاج رؤى قائمة على الأوروبية المركزية ينخرها التحيز ضدّ النساء. و على حدّ طرح العطّاس وسينها تستدعي النظرية الاجتماعية التي تتجاوز التشريع وضع رؤية تتجاوز ما هو أبعد من أوروبا.

لقد سجّلنا نحن في البرازيل اسهاماتنا في النقاش الدائر حول هذا الموضوع باصدار مجموعة بعنوان *Pioneiras da Sociologia Mulheres intelectuais nos séculos XVIII e XIX* [*رائدات في علم الإجتماع: نساء مثقّفات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.*] والكتاب متوفّر باللغة البرتغاليّة. تجمع المبادرة غير المسبوقة في البرازيل ستّ عشر كاتبات من خلفيات مختلفة ويطرح تقديمهنّ بأسلوب بيداغوجيّ. يطرح التفكير معا حول أولئك الكاتبات المنتميات لمناطق مختلفة إن كان ذلك بأسلوب قياسيّ أو غيره، تحدّيا تاريخيّا وسوسيولوجيّا. إذ توفّر لنا المقارنة فرصة تنسيب النظريات الأورو-راديكالية السائدة عن المجتمع والثقافة في الشمال الكوني ومواجهتها و تحدّيها. مبرزة بذلك التشكيلات الإجتماعيّة-التارخيّة الفريدة إضافة إلى توفير أدلّة على التحليل المسارات الكلّيّة العالمية التي أثّرت في العالم الحديث. مهمّة توكل إلى الأجيال القادمة من علم الإجتماع: إعادة التفكير في القياس السوسيولوجيّ حتّى يغدو أكثر شموليّة. ■

نودّ أن نشكر مؤسسة دعم البحوث في ولاية ريو دي جانيرو(FAPERJ) وذلك لدعمها لمشروعنا البحثيّ كما ننوّه ونثني على التزامها بتطوير المعرفة العلمية وتعزيز التميّز الأكاديمي في البرازيل.

توجّه كل المراسلات إلى لونا ريبارو كامبس على lunaribeirocampos@gmail.com
وإلى فيرونيكا توست دافلون على veronicatoste@gmail.com ولى حسابها على تويتر @vetoste

> النفاذ المفتوح والدوريات المفترسة

والدوريات القائمة على الإشتراكات

بقلم **سوجاتا بيتال** أستاذة متقاعدة، جامعة حيدرأباد، الهند وأستاذة زائرة **كيرستن هيسلغرين** ٢٠٢١، جامعة أوميا، السويد

المصدر: "ستانيزلاو كوندراتييف"، "بيكسالز"

لبت منّي إحدى زميلاتي من إحدى الجامعات الأوروبية مؤخّرا أن أساهم بمقال لي ضمن عدد خاص عن النظرية الاجتماعية في مجلة مفتوحة المصدرتشرف على إصدارها في اللّسان الإنجليزيّة. لم تكن لي دراية بالمجلّة لكنّي أبديت موافقتي على الفور لأنني كنت أدرك أنّ ذلك سيزيد من توسّع قراءة الورقة في جميع أنحاء العالم في حال نشرها (ومراجعتها) وهذا من شأنه أن يتجاوز معضلة اختناق التداول الموجود راهنا في تدفقات المعرفة المهنية التي تحكم اشتراكات المجلات ومدفوعات المقالات قبضتها عليها. كما لا يخفى على أحد أنّ الاشتراكات ومدفوعات معالجة المقالات تفتقد إلى دعم معظم الحكومات أو الجامعات أو معاهد البحوث و لا تتمتّع بالمنح البحثية. ممّا يحدّ من عمليات التواصل و يخلق انقسامات في تدفّق المعلومات والمعرفة عبر الجماعات العلمية الوطنية والعالمية. لكن قادتني استفساراتي حول المجلّة إلى ادراك كيفيّة نظرة المجتمع الأكاديمي إلى النّفاذ المفتوح حيث جادل معظم زملائي بأن المجلات النفاذ المفتوح مجلات مفترسة مخادعة واستحواذيّة إلى حدّ كبير في حين أن المجلات القائمة على الاشتراكات مجلات احترافية. لقد كنت في حيرة من أمري: ما الذي يحدو بزملائي إلى مثل هذا الإعتقاد في حين يسمح النفاذ المفتوح بالتداول للأعمال وتعميم الأدبيات ويشجع الحوار والمحادثة عبر الجماعات الأكاديمية؟

> انطلاقة متفائلة

ظهرت حركة الوصول المفتوح أو النفاذ الحرّ وهو الوصول الالكتروني الخالي من القيود (OA)، هذا الأسلوب الجديد للإتاحة الإلكترونية للمنشورات العلمية في التسعينيات القرن الماضي عندما غدت شبكة الإنترنت متاحة كوسيلة للاتصال وبالتالي أعادت تعريف النشر، الذي كان حتى حينها يعتمد على المواد المطبوعة. وسرعان ما اكتسبت الحركة أهمية و استحوذت على اهتمام القرّاءحيث وضعت مبادرات داعية لدعم الوصول الحر للمعلومات العلميّة. إذ قامت مبادرة بودابست للوصول المفتوح (BOAI) سنة ٢٠٠٢ بوضع تعريف محدّد للنفاذ الحرّ بوصفه التوفّر المجاني للأبحاث المحكّمة وتوفير كل من الإتاحة المجانية، والفورية والدائمة للإنتاج الفكري العلمي على: «على شبكة الإنترنت العامة، مما يسمح لأي مستخدم بقراءة البحوث أو تنزيلها أو استخدامها للنسخ أو التوزيع أو الطباعة أو إجراء بحث أو استخدام رابط النصوص الكاملة لهذه المقالات، أو الزحف إلى هذه النصوص للفهرسة واخضاعها للتكشيف، أو تمريرها كبيانات للبرمجيات، أو استخدامها لأي غرض قانوني آخر، دون عوائق مالية أو قانونية أو تقنية بخلاف تلك التي لا يمكن فصلها عن الوصول إلى الإنترنت نفسها». تنص مبادرة بودابست للوصول المفتوح BOAI أيضًا على أن جميع الحقوق الفكرية للمقالات تقع من حيث مبدأ

>>

حق السيطرة على سلامة أعمالهم على عاتق المؤلفين. يتردّد صدى هذا التعريف مع تراخيص المشاع الإبداعي.

ومع زيادة عرض النطاق الترددي بشكل مطّرد، كان من المتوقع أن تنخفض تكاليف النشر لكل ورقة بحثية نتيجة إزالة الطباعة والتوزيع من جميع الميزانيات. وكان من المفترض أيضا أن يؤدي هذا اكتساب معظم المجلات خاصيّة الوصول المفتوح.

> إدّعاءات المخادعة

ومع ذلك، لم يحدث مثل هذا التغيير الجذري. إذ أشار تقييم أجري حديثا إلى أنه سنة ٢٠١٣، أنّ نسبة ٢٥٪ فقط من الأبحاث المنشورة تتبع مجلات الوصول المفتوح. نتساءل هنا لماذا لم تستحوذ الحركة على تفكير جلّ الباحثين؟ يعود جزء من السبب إلى الافتراض بأن معظم المجلات التي تتبع نظام الوصول المفتوح تفرض على المؤلّفين كلفةً على معالجة المنشورات من أبحاث و مقالات، وتجذب المؤلّفين لعدم قدرتهم على تحمّل كلفة النشر في المجلّات العلمية المحكّمة والموثوقة وبالتالي فهي مجلات مفترسة استغلالية: «فكلّ نشر ممكن إن تمّ الدّفع». كذلك، ثمّة تصور واسع النطاق بافتقاد مجلات الوصول المفتوح للكفاءة المهنيّة وهي مجلّات مشكوك في القيمة العلمية لهيئات تحريرها المزيفة، والتي تفتقد إلى في كثير من الأحيان إلى المراجعة الصارمة للأبحاث المقترحة.

استخدم أمين المكتبة دجيفري بيل Jeffrey Beall مصطلح مفترسة بمثل هذه المجلات لأول مرّة في حملته التي شنّها منذ أوائل سنة ٢٠١٠ ضدّالوصول المفتوح. حيث أنشأ قائمة (قائمة بيل) بالمجلات المفترسة على الإنترنت موضّحا كيف: «يستخدم الناشرون المفترسون نموذج الوصول المفتوح الذهبي (فرض رسوم على المؤلف) ويهدفون إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الإيرادات، وغالبًا ما يتغافلون على مراجعة الأقران المسبق والمناسب».

تشير الأدبيات الجديدة إلى أن بيل قد لا يكون الوحيد الذي قام بحملة ضدّ المجلّات المفترسة غير الموثوقة. بالإضافة إلى ذلك، روجت جمعيات الناشرين التجارية الكبرى واللّوبيات التابعة لها لفكرة أن نظام الوصول المفتوح يشكل خطراً على نظام مراجعة الأقران وتآكلا للأبحاث العلمية عالية الجودة. بنت جمعية الناشرين هذه حجّتها الرئيسية على أن المجلات القائمة على الاشتراكات تشكل مفتاحاً للممارسات الجيّدة، وخاصة فيما يتصل بنظام مراجعة الأقران، وأن هذه المجلات تمّت مأسستها من خلال تحالفاتها مع الجمعيات العلمية، والجمعيات المهنية، ومعاهد البحوث. ورغم إقرارهم بربحيّة نماذج أعمالهم فهم يؤكدون تقاسمهم لإيراداتهم مع مثل تلك المنظمات (على سبيل المثال، تعتمد ميزانية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع بشكل كبير على وعائدات حقوق النشر)، وبالتالي تعزيز إنتاج المعرفة الأكاديميّة والعالمية. بالإضافة إلى ذلك، يقترحون حماية حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين ومعاهد البحوث.

وعليه ومن هذا المنطلق تقدّم معظم الجمعيات العلمية والجمعيات المهنية دعمها لكبار الناشرين. وفي المقابل، نشهد تدخل هؤلاء الناشرين بقوة في المجال العام لضمان حماية حقوق مجلاتهم ضد أي شكل من أشكال الوصول المفتوح. فعلى سبيل المثال رفع بعض الناشرين سنة ٢٠١٢ (أكسفورد، وكامبريدج، وتايلور وفرانسيس) قضية إلى المحاكم الهندية ضد متجر زيروكس في جامعة دلهي لبيع الكتب والصفحات المنسوخة. لكن انبرت كلّ من الجامعة والمحكمة العليا لدعم المتجر وتم رفض القضية.

> الحاجة إلى التخلّي عن التقسيمات الثنائيّة المؤسّسيّة

ليس وجود المجلّات المفترسة موضع شكّ لا محالة. إذ تمتلك الولايات المتّحدة الأمريكيةّ واليابان إلى جانب الهند وايران أكبر عدد من هذه المجلّات وترفض الهيئات التنظيميّة بما في ذلك الجامعات الإعتراف بالمقالات المنشورة ضمنها لتقييم الأداء. ومع ذلك نتسائل هل تتّسم جميع مجلات الوصول المفتوح بالمخادعة بطبيعتها؟ تشير الأبحاث الحديثة حول قائمة بيل أنّ العيوب الرئيسية المدرجة في مجلات الوصول المفتوح هي ذات العيوب المضمّنة في المجلات القائمة على الاشتراكات. بالإضافة إلى ذلك، لا تفرض جميع مجلات الوصول المفتوح رسومًا على معالجة المقالات. يشير دليل مجلات الوصول المفتوح (DOAJ) إلى عدم تقاضي ١٣٠٠٠ مجلّة ذات الوصول المفتوح من بين أكثر من ١٨٠٠٠ متاحة على الإنترنت اليوم على رسوم معالجة المقالات. في نفس البحث المذكور للتوّ، يجادل المؤلفون أنهعوضا عن عرض تعميق الانقسام بين مجلّات النفاذ الحرّ والمجلات القائمة على الاشتراك، منالأجدر طرح المزيد من الأسئلة التأمّليّة المتّصلة بكيفية الشروع في ممارسات مراجعة الأقران الجيدة ومأسستها وكيفية العمل على مزيد الشفافة لكل من مجلّات الوصول المفتوح والمجلات القائمة على الاشتراك. إضافة إلى أهمّية التساؤل عمّا إذا كانت هذه الممارسات تشمل تلك التي تم إتقانها في أجزاء ومناطق مختلفة من العالم.

أعتقد أنّ صناعة النشر جزء من المنظومة الإكولوجية للمعرفة الذي يتغذى على توليد الانقسامات بين المناطق وبين المجتمعات اللغوية حول إنتاج المعرفة وتداولها. وتغذي صناعة النشر هذا النظام الذي تمّ تنظيمه في أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما تنامى عدد الجامعات ومعاهد البحوث بشكل كبير في الشمال العالمي وفي جميع أنحاء العالم- وتقوم بتمأسسه. ومع هذا الانتشار، تمّت مأسسة المنظور القائم على أن مجالات المعرفة في العلوم والعلوم الاجتماعية والإنسانية المنتجة في الشمال العالمي مجالات كونيّة ويمكن أن تحاكيها المجتمعات الأكاديمية في جميع أنحاء العالم.

حينها حدد هذا النظام البيئي مسؤوليات إنتاج المعرفة للجامعات والمعاهد والمختبرات في أوروبا وأمريكا الشمالية، ثم تم تداول المعرفة عبر المجلات والكتب التي يتولّى القطاع الخاص إنتاجها و طبعها. وسرعان ماغدت تلك الجامعات والمعاهد البحثية المستهلك الرئيسي للمجلات والكتب العلميةنتجت عنها علاقة تكافلية بينها وبين دور النشر الخاصة. فلا عجب إذن أن يصنف الناشرون في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة منتجاتهم على أنها جزء من الأسواق الدولية بينما يتم تصنيف المنتجات المعرفية في البلدان الأخرى على أنّها معارف تخص المنطقة لا غير. في الآونة الأخيرة، تلقّى هذا النظام البيئي على الدعم حيث يخوّل للجامعات المطالبة بإجراء عمليات تدقيق صارمة لفحص أداء الأساتذة مما أعطى المجلات القائمة على الاشتراكات مزيدًا من الشرعية. تسعى حركة الوصول المفتوح على تخريب هذا النظام البيئي، وبالتالي فهي تشكل تهديدًالكل الجهات ذات المصلحة.

لكن نتسائل أين مجال يترك هذا للعلماء والباحثين من مختلف أنحاء العالم الذين يرغبون في نشرأبحاث جديدة أو الإطّلاع عليها؟ وأين المجال الذي يسمح للمنشورات من جميع أنحاء العالم التي ترغب في تشجيع المحتوى (المحتويات) المتميزة، وأساليب الكتابة الجديدة، وممارسات المراجعة المختلفة؟ نحن تسعى بوصفنا باحثين إلى تركيو حوارات كونية. وآمل أن تكون هذه المسألة محور المناقشات المواضيعية. ■

توجّه كل المراسلات إلى سوجاتا بيتال على البريد ألإلكتروني
patel.sujata09@gmail.com

> من أجل سلوكيات تسعى إلى صحّة أفضل

في بهار ، الهند

بقلم: **أديتيا راج وبابيا راج**، الهند، المعهد الهندي للتكنولوجيا باتنا الهند

المصدر: "آنا شفتز" "بيكسالز"

إنّ الظروف التي فرضتها جائحة كورونا تعني التغييرات السلوكية كخيار بديل ومعيارا واجب اتّباعه في التصدّي لانتشار الفيروس في أيّ مجموعة. حيث أصدرت الحكومات قرارات بالإغلاق العام لعدّة مرّات و ما فتئت تقدّم النصائح للناس بالالتزام بالتباعد الجسدي، والعزلة الذاتيّة و الحجر الصحّي المنزلي و ارتداء الأقنعة والقفّازات في الأماكن العامّة، و غسل اليدين مرارا، إلخ... ورغم الجهود التي بذلتها الهند عجزت الحكومة الهندية عن السيطرة على الوضع حيث لم تبد الغالبية الساحقة من السكان- كما أوردته وسائل الإعلام العمومية مرارا و تكرارا- استعدادها للإمتثال إلى للتوجيهات. و الأدهى من ذلك غياب الإرادة بالخضوعإلى لإجراء اختبارات للكشف عن وجود الفيروس. و حتّى وإن ثبتت ايجابيّة التحاليل فهم يعرضون عن القول والإعلام إلى أن تتعكّر وضعيتهم الصحيّة. نشير إلى الظروف الحرجة بشكل خاصّ في بيهار- المقاطعة المتخلّفة في الهند- جرّاء غياب البنية التحتيّة الصّحيّة العامّة. وهذا ما يشير إلى أهمّيّة إشراك المجتمعات المحلّيّة وانخراطها في سلوكيات التماس الرعاية الصحّيّة. Health-Seeking Behavior - HSB.

تعتبر سلوكيات التماس الرعاية الصحيّة من حيث مفهومها على أنّها سلسلة من الإجراءات الوقائيّة و العلاجيّة يتّخذها أعضاء المجتمع سواء من أجل تدارك ما يعتبر أوجه اعتلال الصحّة و تصحيحه أو الحفاظ على حالة صحيّة جيّدة. و عليه، تنطوي سلوكيات التماس الصحّة على الأفراد الذين يتّخذون «خيارات صحيّة». ويختلف

<<

مثل هذا السلوك فيما بين المساحات الجغرافيّة والمجتمعات المحلّية. تجدر الإشارة إلى أهمّية الوعي بالعوامل التي تحول دون اعتماد الناس لمفهوم سلوكيات التماس الصحّة التقدّمي من أجل ضمان تحسين الظروف. كما نشير إلى ضرورة الإدراك بكيفيّة تحفيز الناس و دفعهم نحو تطوير سلوكيات التماس الصحّة إيجابيّ. فعلى الرغم من كونه عنصرا حيويّا في الصحّة العموميّة نشهد غياب أبحاث ودراسات بارزة ترمي إلى فهم العوائق أمام سلوكيات التماس الصحّة أو ميسّري هذه السلوكيات في الهند أو في بيهار على وجه التحديد.

> الدروس المستفادة من الدراسة المقطعية التي أُجريت في بيهار

كنّا قد أجرينا دراسة مقطعيّة في باتنا، عاصمة مقاطعة بيهار.خلصت هذه الدراسة إلى تسجيل باتنا أعلى معدّلات الإصابات والوفيات بكوفيد -١٩. في الهند. اعتمدنا في هذه الدراسة المنهجيّة المختلطة وقمنا بتجميع البيانات الأولية خلال الجائحة في المدّة الفاصلة بين أفريل ويوليو ٢٠٢١. وكشف تحليل البياناتن أن نسبة ٤٣٪ من جميع المستجوبين أفادوا بإصابتهم بالفيروس و أنّ نتائج اختبارهم كانت إيجابية ، بينما أورد ٣٤٪ أنّ اختبار واحد أو أكثر من أفراد أسرهم كانت نتيجة اختباره إيجابية، وأورد ٢٣٪ من المستطلعين أنّهم هم وأفراد عائلاتهم أثبتت نتائج اختباراتهم إيجابية كوفيد ١٩. لاحظنا من خلال التحليل الفجوة الجندريّة الصارخة بين من ثبتت إصابتهم بالفيروس: تفيد البيانات أنّ نسبة ٦٩٪ من الإصابات تعرّض لها الرجال بينما ٣١ مثّلت النساء ٣١ ٪ فقط من مجمل عدد المصابين. تعتبر النساء من الناحية الفسيولوجية أقوى صحيّا مقارنة بالرجال، وفي ظل ظروف مماثلة، تتمتع النساء بفرص أكبر للمقاومة للتمكُّن من أجل البقاء على قيد الحياة. كما تشير التركيبات الاجتماعية والديناميكيات الجندرية داخل الأسر إلى ايلاء الأولوية دوما إلى صحة الأفراد الذكور. نفترض هنا امكانية ظهور عوارض كوفيد- ١٩ على النساء لكن لم تُجرين الاختبار.

وبقطع النظر عن الجندر فإنّ نسبة ٤٠ في المائة من المستجوبين ذوي النتائج الإيجابة في اجتبارات كوفيد -١٩ يمثّلون الفئة العمرية من ٢٥-٢٩ سنة ممّا يشير إلى إلى أن أولئك الذين كانوا أكثر تحرّكا ومعرّضين للمحيط الخارجي كانوا أيضًا أكثر وأشد تعرضاً لخطر العدوى بالفيروس. و لسوء الحظ، أبلغ العديد من المشاركين في الدراسة عن حالة وفاة واحدة أو أكثر بسبب كوفيد-١٩ ضمن أسرهم. تفيد نتائج الدراسة التي أجريناها أنّ غالبية الحالات المميتة (٨٨٪) تقطن في مبانٍ متعددة الطوابق، بينما يقطن ١٢٪ فقط في منازل فردية خاصة. كما لوحظ أن ٦٧٪ من المصابين يعملون في قطاع الخدمات، و٢٦٪ يعملون لحسابهم الخاص ولم يحدّد البقية طبيعة مهنتهم. وبغض النظر عن الخلفية الاجتماعية والديموغرافية، كانثمّة إحجام بين كلّ المشاركين في إجراء اختبار فيروس كورونا. و حين السؤال عن كيفية إدراكهم لإصابتهم بكوفيد-١٩، أفاد معظمهم بظهور أعراض الفيروس وعليه افترضوا الإصابة. وحين وُجّه لهم السؤال لماذا لم يؤكدوا هذه الافتراضات من خلال الاختبارتنوّعت الإجابات. وشملت الأسباب المذكورة نقص المعلومات الصحيحة حول مرافق الاختبار(٢٧٪)، وعدم توفر المشورة من العاملين في المجال الطبي (١٢٪)، والأهم من ذلك، و مثّل الخوف من الوصمة الاجتماعية في حالة إيجابيّة نتائج اختباراتهم أكثر الأسباب نسبة (٥٩٪).

وفقا لتحليل البيانات خيّر الناس المصابون المكوث في المنازل إلى حدّ تعكّر حالتهم الصحيّة جرّاء الندرة الشديدة في أسرّة المستشفيات والموارد السريريّة الأخرى. كذلك، مثّل انعدام اتاحة المعلومة والموارد عائقا أساسيّا في طلب المساعدة وعقبة أمام سلوكيات ايجابيّة من أجل الصحّة داخل المجتمع المحلّي. نتيجة لذلك ارتأى العديد من الأشخاص خيار العلاج المنزلي(حوالي ٢٧٪) والتمس عدد قليل منهم استشارة الأطباء عبر الهاتف (١٦٪) كما قام عدد قليل آخر بزيارة عيادات الأطباء (١١٪)، في حين اعتمدت نسبة كبيرة (٤٦٪) فقط على معلومات من الأصدقاء والأقارب، وبالطبع المعلومات الواردة على مواقع الوسائط الرقمية.

ونُصح الأشخاص الذين ثبتت إصابتهم بالعزل الذاتي والحجر الصحي، لكن مثل هذا السلوك لا يعدّ تقليديًا في السياق الاجتماعي الهندي. وفي الواقع، لم يرغب المصابون بالكشف عن حالتهم للمجتمع خوفًا من الوصمة.

بناءً على تحليلنا، فإننا نؤكد أنه على الرغم من استعداد للالتزام بـ HSB سلوكيات التماس الصحّة المطلوب لمعالجة جائحة كوفيد-١٩، إلا أنّ نقص المعلومة كان له أثر في بالغ في الوقت نفسه وهو ما مثّل العائق الأكبر أكبر عائق أمام سلوكيات التماس الصحّة في هذه الحالة. فالخوف والجهل بالجائحة و طبيعتها حدّ من استعداد الناس لطلب المساعدة الطبية في مرحلة مبكرة من الإصابة. وبالتالي، تكمن الحاجة الملحة في توفير التثقيف الصحي السياقي من أجل تحسين سلوكيات التماس الصحّة HSB، خاصة في مقاطعة متخلفة مثل بيهار.

> التأمّل في أحداث الماضي

لازال جائحة كوفيد-١٩ تمثل تهديدا مستمرّا للصحّة العموميّة. تستوجب هنا الحاجة إلى اكتساب الساكنة والممارسات الصحّيّة الرامية إلى محاربة الوضع الاستدامة و القبول لدى المجتمع المحلّي. نشير هنا بالاستناد إلى ما أفرزت نتائج دراستنا إلى الحاجة الملحة إلى وضع تدخّلات إجتماعيّة من خلال التثقيف الصحيّ السياقي و تنفيذها حتى تحقّق تحسين سلوكيات التماس الصحّة داخل المجتمع المحلّي. تعتقد أن استخدام منهج متكامل يرمي إلى ادراج كجزء لا يتجزأ من التثقيف الصحّي يكتسي دورا فعّالا في انطلاق تغيّرات سلوكيّة في تعاريف المجتمع المحلّي ويؤدّي إلى تعزيز الصحّة.

بيّنت دراسة متابعة كنّا أجريناها حديثا في تناولها لما جدّ من تقدّم دي الصلة، شروع الناس في العناية البالغة بالنظافة وممارسات الصرف الصحّي وتقدير نمط حياتهم ذي العلاقة بالصحّة. سيمكّن تعزيز التثقيف الصحّي والاستثمار في التواصل الصحّي من تطوير فهم إجتماعيّ جديد لسلوكيات التماس الصحّة ويخول انطلاق عمليّة تعزيزها. مما سيمكّن الناس من مواجهة مشاكلهم الصحّية من أجل تخطّي الفوارق الصحيّة القائمة. ومن ثمّ، نؤكّد أنّ التثقيف الصحّي هو قضيّة السّاعة. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى
أديتيا راج، على البريد الإلكتروني aditya.raj@iitp.ac.in
وإلى بابيا راج praj@iitp.ac.in

> أزمة الصحّة النفسية في إسبانيا:

أهمّية علم الإجتماع

بقلم: **سيجيتا دوبلييتا**، جامعة أوفييدو، إسبانيا

المصدر: "أدريان سوانكار" Unsplash

شكّل الصحّة النفسيّة جزءا من عالم الحياة وهي تندرج ضمن ثقافة الفرد وعلاقاته الإجتماعيّة وشخصيتهفي حين يتمّ وضع التدخّلات الصحّة النفسية الراهنة عادة في مجال الرعاية الصحيّة وبالتالي يمكن اعتبارها داخل المنظومة ، لدى علم الاجتماع الكثير ليقدمه لفهم أفضل للصحّة النفسيّة والغمّ والكئابة. أدعو هنا إلى دور أكبر لعلم الاجتماع عند معالجة هذه القضايا من خلال إشارتي إلى ما نشهده من اضطرابات في إعادة الإنتاج الثقافي والتكامل الاجتماعي. إذ تتجلى هذه الاضطرابات في فقدان التوجه الثقافي، والاغتراب، وبالتالي الأمراض النفسية. ورغم الجدال الذي يتمحور حول حالة إسبانيا يستدعي أن يتّفق معها القراء في بلدان أخرى أيضا.

أثارت مسألة الصحّة النفسيّة والمرض على مدى السنة المنقضية إهتماما غير مسبوق في المجال العام الإسباني. إذ على مدار العام الماضي، اجتذبت الصحة العقلية والمرض اهتمامًا غير مسبوق في المجال العام الإسباني. إذ ما انفكّ السياسيون والصحفيون والنشطاء جميعهم يستشهدون بالإحصاءات الوطنية والدولية التي تبرز تدهورا في الصحة النفسيّة في البلاد. حيث ارتفعت معدلات حالات الانتحار. كما تضاعف استهلاك الأدوية المضادة للاكتئاب ثلاث مرات خلال العشرين عامًا الماضية، و تعدّ هذه النسبة من بين أعلى المعدلات في أوروبا. والأسوأ أنّ إسبانيا تسجل أعلى استهلاك لمزيلات القلق في العالم. فهي تتصدر الاستهلاك العالمى لأدوية بالبنزوالتي تحتوي على مزيلات القلق وفق دراسة استقصائية للصحة النفسيّة أجريت على موظفي القطاع العام الإسبان سنة ٢٠٢٢ واضعة هذه المعدلات في السياق:حيث أفاد ما يقرب من نصفهم اعتمادهم على المستحضرات الصيدلانية النفسية للتخفيف من القلق الذي يعانون منه نتيجة عملهم.

وبناء على ما تقدّم لا نعكس هذه الأرقام قضايا فرديّة بل تشمل مسارات إجتماعيّة. و لكن يحوّل الإعلام مباشرة زووم كاميراتهم إلى علماء النفس والإخصائيين النفسيين عوضا عن تصويبها نحو علماء الإجتماع.

لا يمكن بالتأكيد الاستعاضة عن التخصّصات النفسية حين يتعلّق الأمر بصحّة الأفراد إلّا أنها تميل إلى موائمة النموذج البيو-طبّي الذي يجرّد الاجتماعي من سياقاته ويخصّصه. و غالبا ما ينهي الأخصّائيون النفسيون في ملاحظاتهم بالدعوة إلى توفير المزيد من الموارد للرعاية الصحية النفسيّة ألا وهي المزيد من المتخصصين والمزيد من الخدمات. وهذه تعليقات مهمّة حتما. ومع ذلك، أؤكد على ضرورة إلى ايلاء الإعتبار لإجابات أخرى أيضًا.

> الثقافة وتقدير الذات

توجّهُ الثّوابت الثقافية –العامّة، كما (أُعيد) إنتاجها من خلال العلاقات والمؤسسات الاجتماعية، والعلاقات الشخصية أيضا، وكما تتجسد من خلال التنشئة الاجتماعية - توقّعاتنا، وقراراتنا، وأفعالنا و ذلك من خلال تأمين «تماسك المعرفة الكافية للممارسة اليومية» (هابرماس ١٩٨٧). وبطريقة عززتها النيو ليبرالية تزودنا الثقافة بشكل متزايد بنصوص ذاتية تؤكد على القدرة التنافسية والنجاح المادي واستهلاك أنماط حياة معينة .(Lamont ٢٠١٩). وأصبحت تعريفات الحياة الكريمة أكثر تجانسًا وقائمة في الغالب على الأداء الإنتاجي والاستهلاك فضلا عن معايير أخرى للقيمة الاجتماعية.

تعتبر الأهداف المعلنة قابلة للتحقيق للجميع من خلال العمل الدؤوب والجهد المضنيّ، مما يؤدي إلى تصنيف «الفائزين» الذين يُعتقد أنهم يبذلون جهدا شاقًا ويضغطون على أنفسهم وتحفيزها للنجاح، و«الخاسرين» الذين يُفترض أنهم يفتقرون إلى مثل هذه القدرات. لكن لفي الواقع لا تتاح مثل مقاييس تقدير الذّات هذه ببساطة للجميع رغم جهودهم المُضنية. أن تولد مثلا في عائلة ثرية تمنح الفرد

>>

ميزة غير عادية في إسبانيا. فمهما اجتهدت في الدراسة والعمل، فإن فرص نجاحك تكون أقل بكثير في حالة ولادتك في بيئة فقيرة مقارنة بمواطنيك الأكثر ثراءً.

يقوم معظم النّاس ببناء توقّعاتهم المستقبليّة استنادا إلى سيناروهات وأعراف ثقافيّة مدمجة متأصّلة في مُثُل النجاح المادّي. ومع ذلك، تعترض معظمهم فرص موضوعيّة تتعارض مع مثل تلك التصورات بل يرون أنّ الأكثر حظًا يتمتّعون بتلك الفرص على نحو أيسر. قد يؤدّي عدم التوافق هذا بين التوقّعات المتجسّدة والفرص الموضوعيّة لإلى أزمة في التوجّهات الثقافيّة وفي مشاعر الحزن و الغضب والخزي. أعتقد أنّ فقدان (الإيمان) بالمستقبل هو أحد أكثر الطرق المباشرة للوقوع فريسة للبؤس.

> العمل والعلاقات الإجتماعيّة

يمكن لعلم الإجتماع أن يشير إضافة إلى الحرمان المادّي إلى المعاناة الموضعيّة. فعلى سبيل المثال ورغم الوضع المتميّز نسبيًا، قد يتعرّض الأكاديميّ الشاب الذي لا يستطيع الحصول على وظيفة لائقة ولكن تمّ «وعده» بتأمين شغل والاعتراف به كمكافأة لسنوات من الدراسة والجهد—لمعاناة من قلق وجودي. تُبيّن الدراسات في إسبانيا والتي شملت مسألة «الأجور العادلة» وما بعدها، بالفعل العلاقة الوثيقة بين الاضطراب النفسي وخصائص مكان العمل، أي مغزى العمل أو الافتقار إلى ذلك.

قد تؤدّي العلاقات المؤسّسية التي تعزّز الاستقلاليّة والكرامة والاعتراف في مكان العمل إلى تحسين رفاه الموظّف وذلك بتغذية مبدإ التضامن بين أعضاء المنظّمة وخارجها، وبمكافأة الجهود، وبالتالي بالمساعدة على توفير الفرص الموائمة للتوقّعات الذاتيّة. إذ يعزّز العمل المجدي الاندماج الإجتماعي في عالم العمل. لكن ثمّة تدهور بارز في خصائص العمل تلك في إسبانيا أي و مزيد من الاستقلاليّة ذاتيّة أقل وكرامة أقلّ واعتراف ضئيل ولكن المزيد من الاضطرابات النفسيّة.

ومع ذلك، يمكن التخفيف من الاضطرابات في علاقات العمل من خلال التضامن داخل الشبكات الاجتماعية غير الرسمية، وخاصة في مجتمعات جنوب أوروبا التي تُعتبر ثقافات أسرية قوية ذات روابط غير أسرية أضعف. ومع ذلك، فإن جميع العلاقات الاجتماعية – الأسريّة منها وغيرالأسريّة – تشهد وفق أيالا كانون تراجعًا في قوتها ووظيفتها في إسبانيا (أيالا كانون وآخرون، ٢٠٢٢) حيث بدأت هذه العملية قبل جائحة كوفيد-١٩ بل وتسارعت مع تفشّيه حيث انخفضت وتيرة ملاقاة الناس بأصدقائهم وأقاربهم وغدوا أقل ميلاً للانخراط مع الآخرين ويعتمدون على دعم اجتماعي وعاطفي أقل في شبكاتهم، وأساسا يشعرون بمزيد من الوحدة.

وهكذا، فبينما تؤدي الاضطرابات في المجال الثقافي إلى فقدان التوجه الثقافي، تولّد الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية –سواء كانت علاقات عمل أو روابط اجتماعية غير رسمية – إلى زيادة الشعور بالاغتراب بين الأفراد. وهذا يؤدّي بدوره التباين بين ما يتوقعه الناس على أساس تنشئتهم الاجتماعية وكيفية مَعيشهم حيث تبدو حياة البعض أكثر ملائمة للعيش من غيرها (أو غير ملائمة). و قد يتجسّد نتيجة لذلك في شكل أمراض نفسية.

> المنظومة

و في الختام ورغم تركيزي في هذا السياق على عالم الحياة، إلا أنه يتعيّن على علم الاجتماع السعي إلى الوصل بين طبقتي المجتمع، حيث يتوجّب على النظام بمجالاته الاقتصادية والسياسية البيروقراطية «أن يفي بشروط الحفاظ على عوالم الحياة الاجتماعية والثقافية» (هابرماس ١٩٨٧). وهذا يتجاوز خدمات الصحة النفسيّة، التي يمكنها حقًا تخفيف معاناة الأفراد. ومع ذلك وفي عمق الأوضاع الرّاهنة، يعود الأفراد إلى عالم الحياة، وهو عالم مغترب فاقد للمعنى.

أشير إلى أنّه دون توسيع أنظمة القيمة حيث يشعر المزيد من الناس بتقديرالذات، ودون تحسين علاقات العمل والفرص بحيث يكافئ العملُ الجهودَ، أو دون الاستثمار في السياسات الاجتماعية مثل الإسكان والأسرة التي تعزز وتنقل سلسلة القيمة والتي غدت جذّ ضعيفة تقليديا وفي إسبانيا، دون كل ما تقدّم س هذا اليترسّخ النمط. بمعنى آخر، ستستمرالحلقة المفرغة لعالم الحياة المغترب غير ذي معنى من ناحية، وستستمرّ الرعاية الصحية النفسيّة التي تعالج الأعراض بدلاً من الأسباب، من ناحية أخرى.

أعتقد أنّنا، بوصفنا علماء اجتماع، في وضع يسمح لنا بإبراز هذه العمليات وتقديم التفسيرات. ومع ذلك، وحتى حين تناول مسألة الصحة النفسيّة والمرض، تميل البحوث الاجتماعية إلى البقاء ضمن حدود علم الاجتماع الطبي دون تخطّيها. لكن سيفيد تخطّي الحدود لا محالة نحو علم الاجتماع الثقافي أوالاقتصادي، على سبيل المثال، المعارف والممارسات بشكل بالغ. وبالتالي، أعتقد أنّه آن الأوان لتكثيف هذا الحوار بين مختلف التخصصات الاجتماعية الفرعية.

توجّه كلّ المراسلات إلى سيجيتا دوبليتي على البريد الإلكتروني doblytesigita@uniovi.es

المراجع:

Ayala Cañón, L., Laparra Navarro, M. and Rodríguez Cabrero, G. (eds.) (2022) Evolución de la cohesión social y consecuencias de la COVID-19 en España. .Madrid: Fundación FOESSA

Habermas, J. (1987) The Theory of Communicative Action. Lifeworld and System: .A critique of Functionalist Reason. Vol. 2. Cambridge: Polity Press

Lamont, M. (2019) "From 'having' to 'being': self-worth and the current crisis of .American society." The British Journal of Sociology 70(3): 660–707

> توسيع خطاب حقوق الإنسان بالإقرار بالعنف المبطّن

بقلم: **بريادارشيني بهاتاشاريا**، موظف الخدمات الإدارية الهندية لدى حكومة الهند

المصدر: رسم "نريد بعضنا البعض أحياء" للفنان البرازيلي والعالم السياسي "ريبز" (twitter. com/o_ribs and instagram. com/o.ribs) للمرصد للحركات الاجتماعية لمركز النظرية الاجتماعية ودراسات أميركا الجنوبية

تعدّ بارادايم حقوق الانسان طريقة متعاطفة للغاية في تصوّرنا للعالم. وهو نموذج مبنيّ على فرضيّة أساسيّة قائمة على أنّ حياة الإنسان جديرة وتستثمر بكرامة ومعنى. تطور النموذج هيكلياً، معتمداً على الدروس المستفادة حول الأعمال الوحشيّة التي طالت النساء والرجال عبر التاريخ. ومع ذلك، وككل نموذج، نشأ هذا النموذج ضمن سياق تاريخيّ تهيمن عليه في هذه الحالة، التيارات الفكرية للوضعية القانونية والفردانية التي فضلت التجريبية الموضوعية والفرد المتجرّد كموضوع هذا النموذج. لقد حان الوقت لإثراء نموذج حقوق الإنسان وتوسيع نطاقه من خلال الاعتراف بقيمة التقاطعية والمعرفة المسبقة في فهم الطبيعة المعقّدة بما فيه الكفاية للعنف القائم على الجندر (GBV). تستدعي أي إشارة إلى التحجّر المحتمل الدفع نحو تطوير قانون دولي عرفي لحقوق الإنسان أكثر دقة وأكثر تحديدا للسياق، يهتم بالعنف الثقافي المبطّن ومظاهر التحيزات الراسخة التي تلجّم الناجيات من مثل هذا العنف وتقيّد أدائهنّ.

> فشل الخطاب الحقوقي في معالجة التعقيدات ذات الصلة بالعنف القائم على الجندر

يبرز هذه المقال عدم ملائمة الخطاب القائم حول حقوق الإنسان والأدوات الاجتماعية - القانونية للتصدي للعنف القائم على الجندر لا سيما في طبيعته المبطّنة وبالتالي حدوثه في «أوقات السلم». كما يقرّ المقال ضرورة توسيع نطاق الخطاب حول حقوق الإنسان ليقرّ أشكال عنف غالبا ما تكمن وراء المجال القابل للقياس الكمي للتجربة، ولكنه مع ذلك يظل خبيثًا وعميق التجذّر، و يستدعي من هذا المنطلق وضع أدوات مختلفة لقياسه. و ينطوي الهدف الثالث من المقال إلى الدعوة إلى المدافعين عن حقوق الإنسان والقائمين على سنّ القوانين ذات الصلة لتغيير اتّجاه بوصلة اهتمامهم نحو أشكال العنف القائم على الجندر اليوميّة مع وضع آليات الكفاءة والمساءلة اللازمتين لتوفير الأمن والمساعدة وأمر ضروري لتوفير دعم منصف.

إن نظرنا إلى العنف القائم على الجندر من خلال عدسة تبرزه على أساس كونه طيفا أو اكتنازا مترابطا، فهو يمتدّ من الأكثر عجائبيّة إلى العادي ومن الغريب إلى المبتذل. حيث تشمل الأعمال الوحشية للعنف القائم على الجندر والتي حظيت بالذكر في الإطار الدولي لحقوق الإنسان-- لحدوثه داخل مناطق النزاع--عمليات القتل التعسفي، والعنف الجنسي المستخدم كتكتيك للحرب، والاتجار بالبشر وغيرها من الفظاعات والأعمال الوحشية الأخرى المماثلة، وهي حتما تثير غضبًا دوليًا وعامًا. ومع ذلك، يعمل مفهوم العنف الرمزي (بورديو، ١٩٧٠) والعنف المبَطّن كأداة تعليمية لتحويل عدسة نظرنا من أشكال العنف الأكثر حدّة وبيانا إلى «مظاهر اشتغال» أشكال العنف المنخفضة الحدّة والماكرة والتي غالبًا ما تنشط خلال «أوقات السلم» ولكنها تصل إلى نقطة التحول خلال النزاعات أو الأزمات. يستخدم كلّ من نانسي شيبر هيوز وبورجوا Scheper-Hughes and Bourgois في عملهما مصطلح «العنف اليومي» لتسليط الضوء على اللامبالاة الاجتماعية تجاه أشكال المعاناة الأكثر إثارة للقلق التي تسببها العمليات والخطابات المؤسسية للناجيات من العنف القائم على الجندر.

عرّضتنا الظروف المعاصرة التي نعيشها إلى التعقيدات التي ينطوي عليها العنف لا سيما الطبقات المعدة بما فيه الكفاية للعنف القائم على الجندر نظرا لسهولة اختراق الترسيمات بين الخاص و السياسيّ. ومقابل العنف الواضح، لا يحظى العنف القائم على الجندر الكامن الدفين والذي يحدث في «أوقات السلم» في كثير من الأحيان حيّز الاهتمام اللازم على مستوى السياسات والاهتمام القانوني بسبب مسألة القياس. إذ غالبا ما يتمّ رَدمُ كلّ ما يعسر على القياس ونسيانه وإزالته من أجندات المناقشات والحوار. إذ يقيّد القياس وفق ملاحظة غاياتري سبيفاك، Gayatri Spivak المكشوف ويمحو ما «ما يستعصي على التحديد».

> الإبستمولوجيات النسويّة ووضع سياق لتوضيح رؤية العنف اليومي المخفيّ

لقد سعت الوضعانيّة في بحثها عن صحّة المعلومات إلى استحداث مؤشّرات قابلة للقياس. يسلّط خطاب حقوق الإنسان الضوء على الإصابات الجسديّة وأشكال العنف التي يتمّ الكشف عنها والبيّنة في مناطق النزاع والتي تبرز سلوكيات مدمّرة و منحرفة و غريبة، حيث يمكن قياسها بتكتّم حسب الإنتشار أوعند حدوثها. وقد يكون بارادايم حقوق الأنسان في تحالفه التاريخي مع تقليد المنهجية الوضعية والقياس الكمي النيوليبرالي، ميّالا حتماً إلى تجاهل السرديات بتفاصيلها الغنية. تتجسد «الأوصاف الكثيفة» أو «الروايات المضادة» الناتجة عن ذلك في التجربة الحياتية اليومية، مما يتطلب قطيعة أنطولوجية مع التجريبية الضيقة والتحول إلى اعتماد وجهة نظر نسوية تفسيرية تعترف بالتجربة الذاتية للمنتهكات على أنها حالات عنف صحيحة مثبّتة وتسمح لهم بالتعبير والتصنيف. ومن ثم قياس العنف الذي يطالهنّ. توثق سيسيليا منجيفار Cecilia Menjívar، في مقالها المتميّز مكابدة معاناة العنف وحياة المرأة في شرق غواتيمالا: إطار مفاهيمي الذي تضمّن فيه. الإثنوغرافيا شديدة الإدراك للعنف في شرق غواتيمالا، التجربة المتجسدة للعنف المبطّن الذي تتحمله نساء اللادينا Ladina اللاتي يتعرضن لسياقات يومية صغيرة من التصاغر و التقليل من قيمتهنّ، وإذلالهنّ، والاحتقار، و الذي يؤدي إلى مظاهر مروعة لقتل الإناث. إذ تستعيد منجيفار من تجاويف الحياة الطبيعية العنف الذي يطال نساء تلك المنطقة والذي يعتبر ثقافيًا «أمرا مألوفا»، من خلال تسجيل ملاحظات النساء الخاصة عن «أجوانتار» مما يشير إلى رتابة الألم.

تخلق مناظير الايبيستيمولوجيات النسوية من خلال الاعتراف بالسياق الاجتماعي والتاريخي للعارفين المعينين، تخلق مساحة لأولئك اللاتي كانّ، على مرّ الزمن، «ذوات غائبة»، وتستعيد «تجاربهم الغائبة». إذ تعزّز مثل هذه المنهجيّة إبراز أصحاب المصلحة الذين لم يعودوا مستبعدين من أنظمة المحاسبة، وتمنحهم سلطة معرفية. لنأخذ، على سبيل المثال، شكليات إجراءات المحكمة أو المحاكمة حيث يطلب منفّذوالقانون من الناجيات من الانتهاكات الوصف وبعبارات قاطعة أي «دليل» على العنف الذي طالهنّ، بالنظر إلى «الموافقة» الواضحة التي تتجلى في سلوكها والوضع الراهن الذي تحافظ عليه أفعالها. أعتقد أنه يتوجّب على موقف حقوق الإنسان أن يستند إلى استفسارات أوسع وأن يرتكز في سياقه على المجال المحدد لتجربة المرأة في «الإقناع الخفي»، مع المثال الأكثر تعنتًا والذي يمارسه ببساطة «نظام الأشياء».

فحين يحمل القائمون على جهاز القضاء و المدافعون عن القانون و على «السلطة الرمزيّة» «symbolic power» مثل تلك التحيّزات المتجذّرة في كيانهم و يستندون في «حكامهم» إلى افتراضات مسبقة دون تفكير يغدو الظلم حينها غير محدّد، لا يمكن التعبير او الإفصاح عنه و مؤسّسيًا. و عليه، تختنق العدالة تحت وطأة شكل الدولة والمنظومة الإجتماعيّة شديدة التشابك.

> أدوات جديدة من أجل واقع اجتماعي متغير

لا يخلو التبنّي المفاهيمي اللازم - لما هو غير محسوس- من التعقيدات القانونيّة، ناهيك عن المعضلات الأخلاقية. ويتجلّى هذا الأمر بوضوح حيث كان للدراسات النسويّة جهل بالعنف الرمزي والذي يعتبر فئة شديدة الغموض لا يمكن التأكد منها. إذ ليس بامكان عمليّة تدوين حقوق الإنسان أنتكون عملية شاملة ونهائيّة بل تطرح علينا ضرورة الاسترشاد باستمرار بتغيرات القوى الاجتماعية والاكتشافات الميدانية والتي تستوجب بدورها أدوات قياس مختلفة.

تنضوي الخطوة التأسيسية نحو تدوين العنف الرمزي اليومي وتجريمه في اتفاقيّة Belém do Pará Convention وفي القانون النموذجي لأبلدان أمريكا اللاتينية لمنع العنف ضد المرأة والقضاء عليه والمعاقبة على هذه الجريمة والذي يسعى إلى تحقيق هذه الغاية(. MESECVI model law) حيث تُقرّ المادّة (٦) منه بحقّ: «المرأة في التحرّر من التمييز وحقها في التحرّر من القوالب النمطيّة والممارسات التي تقرّ بدونيتها و تبعيتها وتحدّد لهاأنماط سلوك ثابتة.»

نسوق في هذا المجال نموذجا قويًا في حالة جنوب آسيا . ألا وهو نموذج «جرائم الشرف» المرتبطة بالأطر االبطريركية لـ «الشرف» وما يترتب عليه من «العار» الذي يتحكم في الحياة الجنسية للمرأة ويوجهها وينظمها. ومع ذلك تندر إدانة الدولة القاطعة للأشكال الصامتة من العنف منخفض الحدة، والتي تنطوي على النبذ الاجتماعي للمرأة وعائلتها، مما يؤدي لجميع الأغراض العملية إلى «موتها الاجتماعي». بل وتُشَرَّع في الحقيقة أعمال العنف هذه، مع إخضاع رجال القانون والقائمين على تنفيذه بطمسها.

> من أجل إلتزام أعمق بحقوق الانسان

أجادل هنا استيعاب السرديات الاديولوجيّة القائمة والأعراف والخطابات المؤسّسيّة أشكال العنف المبطّنة و دعمها على نحو كفؤ. أدعو إلى أن يتفطّن الخطاب حول حقوق الانسان إلى امكانيّة العنف الذي لا يبرز من خلال أفعال صارخة سافرة

>>

ولكن عبر الامتثال اليومي نتيجة ايديولوجيات ثقافية مترسّخة في العمق و من خلال «نظم» "schemes" التي تحظى بدعم تاريخيّ. تستوجب أشكال من العنف المبطّن هذه والتي ترقد تحت غطاء الممارسات الإجتماعية «العاديّة» استخلاصها من المجالات والممارسات والعمليات المؤسّسيّة الإجتماعيّة المعياريّة من التفاعلات التي قد تؤدّي إلى أضرار من ضروب عنف أقل وضوحا. وعليه، فإنّ الالتزام الأعمق بحقوق الانسان في حاجة ماسة أن يتجلّى في الإشارة إليه في لغة لغة تهتم بترسيخ التبعية والسيطرة التي تواجهها المرأة في علاقات جندريّة غير المتماثلة تحدث في سياق ثقافي محدد. و غالبا ما تشرّع هذه المواقع الثقافيّة الاستدامة وإعادة الانتاج ومن ثمّ تطبّع إعادة التفعيل اليومي. وبذلك تظلّ أعمال العنف «الخفيفة» غير معلنة وتستدعي نتيجة لذلك أدوات قياس مختلفة.

أعتقد أنّه من واجب العدسة الانعكاسيّة والتحليل النقدي صقل الخطاب ذي الصلة بحقوق الأنسان و لإقرار بانّ رتابة المعيش اليومي تربة خصبة لأشكال حادّة من العنف القائم على الجندر.يذكّرنا كتاب تفاهة الشرّ banality of evil لآنا أراندت فقط بأن: «أعمق لحظات الظلم في التاريخ لا يأتيها المتطرفون أو المرضى النفسيون بل يأتيها الناس العاديون- من المحتمل أنا وأنت - حين نصل إلى تقبّل فرضيات النظام القائم». إذ يعدّ الصمت والقبول بالتأكيد آليات فعالة يتم من خلالها إعادة إنتاج علاقات القوة غير المتكافئة.

قد يعكس خطاب متخلّف حول حقوق الانسان ليس فقط الهدوء من جانب الدولة، ولكن تهدئة الضمير الجماعي. يمكن أن توفّر الابيستيمولوجيات النسويّة والأدوات التي تستخدمها لدراسة «العنف اليومي» عدسة مغايرة لبارادايم حقوق الانسان. عدسة أكثر ملائمة مع «الصمت» العميق و الأصوات المكتومة والتي يمكن رغم ذلك استرجاع أصوات «أبطالنا المعرفيين»، الذين يتعيّن عليهنّ النهوض من الاضطهاد المعرفي للتجارب الضيّقة.

سيمثّل إعادة توجيه حقوق الانسان إلى سياسة إعتراف-بإبراز الأفعال اليوميّة لحيف مخفيّ من خلال فعل الاستماع ذاته- مشروعا جيّدا يساعد على تقديم الشفاء الجماعي لراويات قصص جراحاتهنّ المخفيّة وغير القابلة للشفاء. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى بريادارشيني بهاتاشاريا
على البريد الإلكتروني priyadarshini.bhattacharya@gmail.com
و على حسابها على تويتر @BhattacharyaIAS

> الغزو الروسي لأوكرانيا من منظور خلدوني

بقلم: **أحمد محمد أبوزيد، ج**امعة ساوثهامتون، المملكة المتّحدة

المصدر: صور مونتاج ل"فيتوريا جونزالس" ٢٠٢٣

بن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦) عالم و شخصية سياسية مسلم حظي باهتمام فائق عالميًا في العلوم الإجتماعيّة. إذ قدم عمله متعدد التخصصات اسهامات بالغة القيمة في مجالات الاقتصاد، والمالية، والدراسات الحضرية، والجغرافيا البشرية، والتاريخ ، والنظرية السياسية، ودراسات النزاعات والفلسفة والعلاقات الدولية، على سبيل المثال لا الحصر. حيث برزت كتاباته وارتبط اسمه ارتباطًا وثيقًا بأعماله الأشهر المُعنونة *المقدمة* (المعروف أيضًا باليونانية باسم Prolegomenon و«*كتاب العبر / تاريخ ابن خلدون*» لأول مرة في الغرب باللّسان الفرنسي سنة ١٦٩٧، حين ظهرت سيرةٌ له في المكتبة الشرقية لبارتليمي دي هوربيلوت. ثمّة اليوم ترجمات عديدة لأعمال ابن خلدون في معظم اللغات التي لا تزال منطوقةً. يعتبر ابن خلون في نظر العديد من العلماء أحد مؤسسي علم الاجتماع.

في فبراير ٢٠٢٢، كنت على وشك استكمال أطروحة الدكتوراه حول ابن خلدون ودراسة عنف الدولة حين تصاعدت حدّة الحرب الروسيّة ضد أوكرانيا لتتحوّل إلى غزو واسع النطاق. لقد تزل عليّ هذا الاجتياح كالصاعقة بوصفي أخصائي في العلوم السياسية بل وكشخص لي شريكة أوكرانية وعائلة في كييف. ومثل كثيرين، عانيت لايجاد معنى لهذا الواقع العدائي الجديد ونالني شعور بالإحباط جرّاء التفسيرات الاختزالية والمحدودة للحرب، والتي غالبًا ما يقدمها المثقّفون الغربيون الخبراء المؤلّفون «ويستبلينينغ» Westsplaining لكن وجدت في كتابات ابن خلدون خير دليل فجأة على فهم ديناميكيات العدوان وادراك عنف الدولة الساحق العميق الذي يمارسه النظام الروسي ضد أوكرانيا. أتقاسم معكن هنا هذه الأفكار مسلّطا الضوء على أهمية أفكار ابن خلدون راهنا في تفسير المعضلات الاجتماعية والسياسية العالمية المعاصرة الملحة.

> المنظور الخلدوني

تعدّ العديد من النزاعات السياسيّة العالمية مبدئيًا نتاجا للعمليّات التأسيسيّة للدول الأمّة الحديثة ونظام الدولة منذ القرن السابع عشر وما بعده. إذ لم تحظى المشكلات التي برزت خلال الفترة التأسيسية البتّة بالحلول. تعكس التشكيلات الإجتماعية السياسيّة والإجتماعيّة الإقتصاديّة التأسيسيّة طبيعة العصبيّة (مثال النخبة الحاكمة) وطريقة تكوين هياكل السلطة داخل المجتمعات الحديثة لا سيما كيفيّة تعزيزها بالعنف والقمع حتّى تحافظ النخب الحاكمة على النفوذ والهيمنة وتضمن التحكّم في وسائل الإنتاج واحتكار استخدام العنف. تبيّن هذه المفاهيم الخلدونيّة الدوافع والأهداف التي تدفع الدول إلى تصدير فائض العنف خارجيًا وداخليًا حتّى يتسنّى للنخب الحاكمة كسب السلطة السياسيّة أو الإحتفاظ بها. توفّر لنا إعادة التأمّل في أطروحات إبن خلدون توسيع فهمنا لأزمات الحوكمة ومشروعيتها في السياسة العالمية الراهنة من الديقراطية الليبراليّة إلى الاستبداد العسكري والحكم الاستبدادي والأنظمة الملكيّة و كذلك التنافس بين القوى العظمى في القرن الواحد والعشرين. لقد كشف لي التزامي بتحليل ابن خلدون حول تكوين هياكل السلطة عن تأثير الماضي و عن طبيعة الهياكل السياسية والقانونية الهجينة (الحديثة منها وما قبل الحديثة) النظام الدولي الحالي.

يبرز المنظور الخلدوني دورات المجموعات الأسريّة المهيمنة والوطنيّة والحكم الأوليغارشي. كما يركّز المنظور على النزاعات الداخليّة من أجل السلطة من خلال مجموعات اجتماعية متماسكة تهدف إلى الحفاظ على سلطة النخب المهيمنة وسيطرتها على وسائل الإنتاج و الأهمّ من ذلك التخلّص من المعارضين و الأعداء

>>

(في الخارج أو الداخليون). لقد أدّت هذه الديناميات إلى عقليّة نحن في مواجهتهم أو «نحن ضد الآخرين» تجاه البلدان الأخرى بشكل عامّ والتفكيرالذي قد يرقى إلى ما يتجاوز الصفر في وجه ما يسمّون بالأعداء أو الخصوم. قياسا على مثال أوكرانيا يرغب بوتين في انشاء نظام عبر إقليمي على غرار عصبية قائمة على الهويّة في الفضاء ما بعد الاتحاد السوفياتي وإدارة المنافسين الخارجيين الممثّلين في مخطّطات الإتحاد الأوروبي وحلف الناتو التوسّعيّة بكلّ ما أوتي من قوّة إزاء خلفية ما يعتبره مجالا لسلطته العصبيّة.

> النزعة العصبية لبوتين

يحدّد بوتين بصفته قائد العصبيّة الروسيّة الحاكمة السياسة من حيث فرض الهيمنة من خلال العنف و الإكراه تستخدم السلطة من خلاله الغلْبة والقهر *ghalbah and qahr* مثال عبر أساليب وحشيّة كالقتل والتعذيب للقضاء على المعارضين والمنافسين الذين يتحدّون شرعيّة العصبيّة وسلطتها والتقليص من عددهم.

و بعبارة أخرى يقوم بوتين بتصدير فائض العنف (المادّي و الرمزي) الذي رافق صعود هذه العصبيّة. وهو يأتي هذا الفعل جاخليًا بقمع المجموعات المعارضة وتعزيز أمن نظامه و خارجيًا عبر الحرب الأهلية التوسّعية الهجوميّة. فبمجرّد أن تثبت العصبيّة تفوّقها (الدّاخلي) وفق ابن خلدون فإنّها تحدّد هدف الهيمنة على الآخرين وهزيمة المجموعات التابعة للتعزيز نفودها و بالتّالي القضاء وتبديد على شعور الإنتماء إلى المجموعة الذي وحّد النخب المهيمنة المنافسة التي تشكّل تهديدا حشية أن تضعف قبضتها.

وإزاء فشله في تحقيق نصر حاسم في اوكرانيا أو كسر روح المقاومة الأوكرانية أو إختراقها، يمكن تفسير مصير نظام بوتين من خلال إطار خلدوني. إذ يجادل ابن خلدون أن العدو الرئيسي للنظام يكمن في تفكّك التي شكلت النظام وحافظت عليه ودافعت عنه في المقام الأول. ويأتي هذا التفكّك بشك لأساسي من خلال تراجع تأثير العصبية (أي القدرة على فرض القهر). يحثّ حدوث مثل هذا التحوّل (مع تقليص القوة المالية أيضًا) على تدمير النظام. علاوة على ذلك، وبعبارة ياسين الحاج صالح، قد تنهي هزيمة بوتين حياته السياسية، فضلاً عن كونها أخباراً سيئة للأنظمة الديكتاتورية في بيلاروسيا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط التي يستند بقاؤها في السلطة واستقرارها على الدعم الإقليمي ورعاية بوتين. ومن ثم ستؤدّي هزيمته في أوكرانيا أيضاً إلى إضعاف الأنظمة الهمجية والخائنة مثل نظام الأسد في سوريا.

> تعزيز التفسيرات الليبيراليّة والواقعيّة

للإيجاز، من الخطأ حصر أسباب اندلاع النزاعات والأزمات الكامنة وراء المنظومة العالميّة فقط إلى شراسة حفنة من الطغاة وتجاهل تأثير الاقتصاد والسياسة وغضّ الطرف عن تـأثير العوامل الاقتصادية و السياسية و الاستراتيجيّة الإقليميّة والدوليّة. وهذا ليس بالمنظور الذي يطرحه إبن خلدون.

وبدلا من ذلك، كما تجسّده الحال في حالة الغزو الروسي واسع النطاق لأوكرانيا (وحالات أخرى مثل سوريا، و والصين، والولايات المتحدة، وإسرائيل، وغيرها)، يشير ابن خلدون إلى ضرورة (إعادة) دراسة دور النخب المهيمنة ووظيفتها (أي الكتل التاريخية والقوى الاجتماعية)، جنبًا إلى جنب مع مؤشرات منهجية أخرى، للكشف عن أدوارها الحاسمة في إنشاء هياكل السلطة للأنظمة الاستبدادية العنيفة والحفاظ عليها. إذ تتألّف شرعية هذه الأنظمة بتصدير فائض العنف التي تمارسه ضدّ مواطنيها في الداخل بوصفه منهجا للقمع، وفي اتّجاه بلدان أخرى كأداة للحكم.

من المرسف أنّه بينما يسعى العلماء جاهدين إلى تصوّر سيناروهات للخروج من دائرة العنف في الساسيات الدولية الراهنة، تظلّ هذه المبادرات المبتكرة محلّ تجاهل بالغ. و رغم ذلك و مؤخّرا برزالإعتراف المتنامي لإمكانيّة الاستناد إلى الأطر الخلدونيّة في اتنقاد نظريات العلاقات الدوليّة وتحليل الحالات العالمية. أعتقد أن هدا المنطق مفيد في تخطّي أوجه القصور التي تتخلّل التفسيرات الواقعيّة والليبراليّة للحلقة الأخيرة من العدوان الروسي منذ استيلاء بوتين على السلطة المطلق سنة ٢٠٠٨. تتداوز نظريّة ابن خلدون التركيز العميق للواقعيّة على وصفات السلام المقدّمة وتجنّب الحرب القائمة على القوّة وعلى الأمن والحسابات الجيوسياسيّة وتداعياتها المحتملة للنّظام العالمي التي تهيمن عليه الدول الأمّة. وهي تقوم بذلك من خلال فتح الصندوق الأسود لديناميات بناء السلطة و تأثير تفكير القطيع الذي تماؤسه المجموعات المتماسكة إجتماعيًا (عصبيّة). و على المنوال ذاته، تتحدّى نظريّة ابن خلدون التزكيز العميق النيو ليبيرالي على دزر القانون الدولي والإجراءات والترتيبات المؤسسيّة وعلى تفكير المجموعات الأمنية التي تساعد في رسم السياسات من خلال توفير المعلومات القيّمة المتعلّقة بالتعاون. تقوّض هيمنة منطق المكاسب النسبيّة التي تحرزها العصبيّة أولويات المكاسب المطلقة التي تهدف إلى الحد من انعدام أمن الدول باستخدام المؤسسات. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى أحمد م. أبو زيد على البريد الإلكتروني a.ahmed@soton.ac.uk
وعلى حسابه على تويتر @AbozaidahmedM

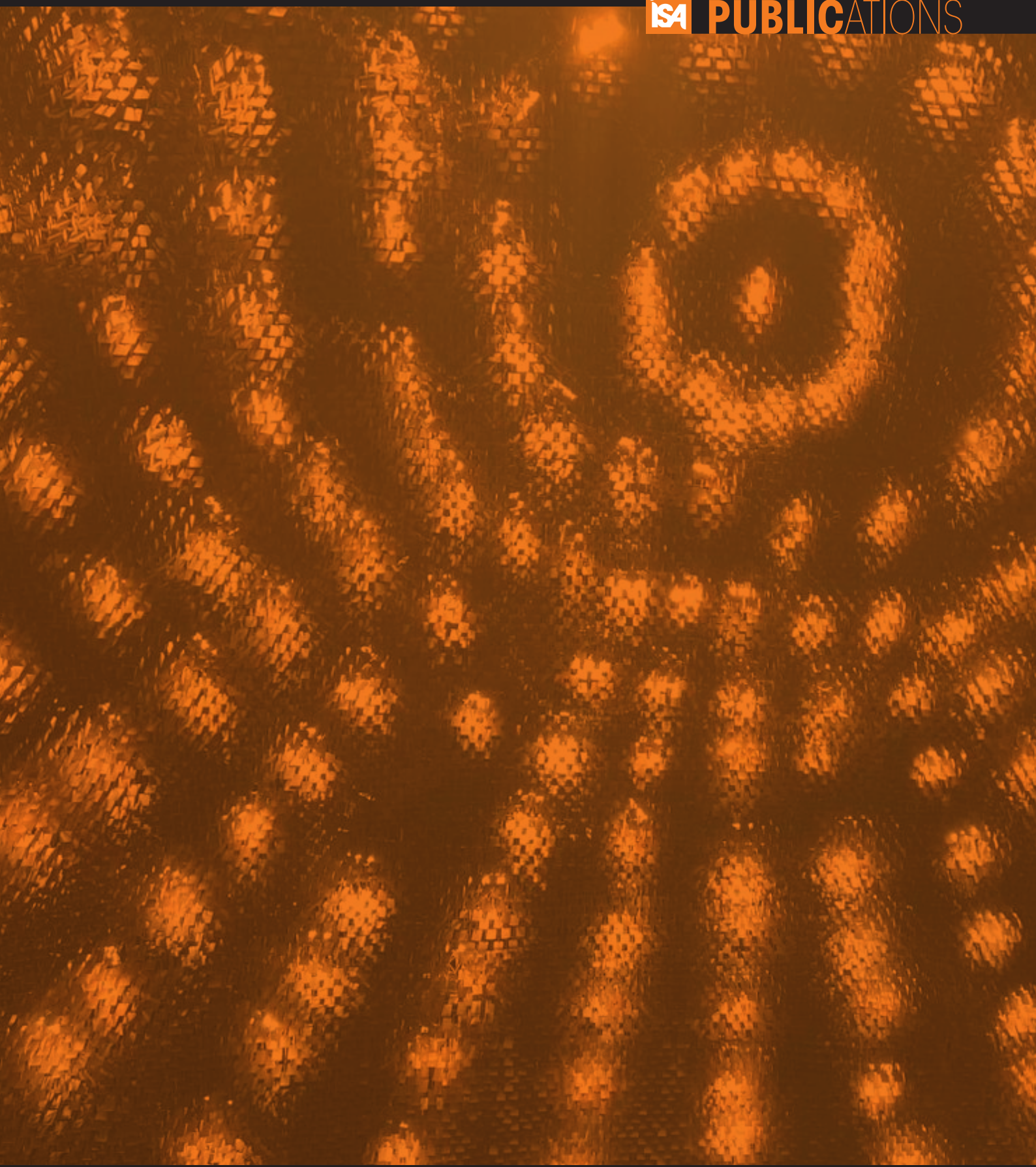

GLOBAL DIALOGUE

ISA International Sociological Association

https://globaldialogue.isa-sociology.org/

@isagdmag

www.isa-sociology.org